جامعة جيلالي بونعامة-خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة تاريخ

عنوان المذكرة

حركة تونس الفتاة وموقفها من الحماية الفرنسية

1907م-1912م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

- بن عائشة معطي زهية
- حبيبش فتيحة

إشراف الاستاذ:

تونسي عبد الرحمان

السنة الجامعية:

1438-1439هـ

2017-2018م

جامعة جيلالي بونعامة–خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة تاريخ

عنوان المذكرة

حركة تونس الفتاة وموقفها من الحماية الفرنسية

1907م–1912م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:

– بن عائشة معطي زهية

– حبيبش فتيحة

إشراف الاستاذ:

تونسي عبد الرحمان

السنة الجامعية:

1438–1439هـ

2017–2018م

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين الشكر لله سبحانه وتعالى أولا وآخرا ونسأله التوفيق والنجاح في الدنيا والآخرة .

أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان لكل من قدم لنا يد العون والمشورة في سبيل إنجاز هذه المذكرة وأخص منهم :

الأستاذ "تونسي " لقبوله الإشراف على هذه المذكرة وتوجيهنا خلال مرحلها بالرغم من التزاماته

وفي الأخير نشكر كل من ساهم

في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين الكريمين

إلى إخوتي وأخواتي وإلى زوجي رشيد

إلى الكتاكيت أبناء أختي لجين وبتول .

إلى صديقاتي كوثر ، فتيحة وسهام .

وإلى كل صديقاتي في قسم التاريخ .

زهية

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي في هذا العمل المتواضع

إلى روح أبي الطاهرة أسكنه الله فسيح جنانه وأكرم مثواه

إلى التي تكتب لها أجمل الكلمات و تساغ لها أروع العبارات وعلي أعتاب فضلها تتكسر الأقلام

إلى نبع حناني ووسام فخري إلى أمي الغالية.

إلى من بوجدهم أكون أنا ويكون لحياتي معنى ....إلى إخوتي وأخواتي

إلى سندي في الحياة إلي زوجي

إلى رفيقتي في هذا العمل..... بن عيشة معطي زهية

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات إلى من جعلهم الله إخوتي ...رفيقات دربي طيلة مشواري الدراسي.

فتيحة

قائمة المختصرات

د.ت : دون تاريخ

ج: جزء

تر :ترجمة

تع : تعليق

تق : تقديم

ط: طبعة

د.ط: دون طبعة

م: مجلد

فهرس المحتويات	الصفحة
شكر وتقدير	
اهداء	
اهداء	
قائمة المختصرات	
فهرس المحتويات	
مقدمة :	أ
الفصل الأول : الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل الأولى عليها	
المبحث الأول: فرض الحماية الفرنسية على تونس	14-06
المطلب الأول : أصول فرض الحماية الفرنسية على تونس	10-06
المطلب الثاني : توقيع معاهدة باردو	13-11
المطلب الثالث : توقيع إتفاقية المرسى والتحول إلى الحكم المباشر	14-13
المبحث الثاني : ردود الفعل الأولى على الاحتلال	23-15
المطلب الأول : المقاومة الشعبية المسلحة	20-15
المطلب الثاني : ردود الفعل على المقاومة	21-20
المطلب الثالث : أسباب فشل المقاومة	23-22
الفصل الثاني : بوادر المقاومة السياسية وميلاد حركة تونس الفتاة	
المبحث الأول : بوادر المقاومة السياسية	37-25
المطلب الأول : ظهور الحركة الاصلاحية	27-25
المطلب الثاني : النشاط الصحفي	30-27
المطلب الثالث : العمل الجمعياتي	35-31
المطلب الرابع : إلقاء الدروس والمداخلات	37-35
المبحث الثاني : ميلاد حركة تونس الفتاة	44-38
المطلب الأول : ميلاد الحركة وبرنامجها	41-38
المطلب الثاني : قادة الحركة ومرجعيتهم الفكرية	43-41
المطلب الثالث : تنظيم الحركة	44-43
الفصل الثالث : نشاط حركة تونس الفتاة (1907-1912)	
المبحث الأول : النشاط المطلبي للحركة	56-46
المطلب الأول: المشاركة في مؤتمر شمال افريقيا	48-46
المطلب الثاني : موقف اليهود من القضاء ورد فعل الشبان التونسيون	50-48
المطلب الثالث: مساندة إضراب طلبة الزيتونة	52-50
المبحث الثاني : التحركات الجماهيرية	67-53
المطلب الأول : الاحتلال الايطالي لليبيا وموقف حركة تونس الفتاة 1911	56-53
المطلب الثاني : أحداث الزلاج	60-56
المطلب الثالث: أحداث مقاطعة الترامواي	63-60
المطلب الرابع : نشاط الحركة الوطنية غداة الحرب العالمية الأولى	67-63
خاتمة	71-67
الملاحق	80-71
قائمة المصادر والمراجع	83-82
ملخص	88

مقدمة

فرضت الحماية الفرنسية على البلاد التونسية منذ توقيع معاهدة باردوا في 12 ماي 1881، وتم بموجبها التنكيل بالتونسيين الخاضعين للسياسة الفرنسية، الذين عاشوا تجربة امتحان عسير مارس طقوسه استعمار شرس ، استعبدهم واستنزف خيرات بلادهم ، هذا ماولد رد فعل طبيعي تمثل في المقاومة المسلحة التي إنتشرت عبر مختلف جهات التراب التونسي، لكن نظرا لعدم تكافئ الإمكانيات العسكرية والتسليحية فشلت هذه المقاومة في تحقيق آمال الشعب التونسي للتخلص من الاستعمار لذلك عمدوا إلى تغيير أسلوب الكفاح بإعتماد أسلوب العمل السياسي في إيطار مايعرف بالحركة الوطنية التونسية التي شهدت تطورا حاسما مع بداية القرن العشرين، فتبلورت الأفكار السياسية وتجذرت مطالب النخبة، وظهرت معالمها أكثر قوة ووحدة في أول تجمع سياسي للنخبة المثقفة بإسم "حركة تونس الفتاة" التي تعد أول تجربة سياسية منظمة مؤطرة في تونس ضد الاحتلال أسندت قيادتها إلى علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي .

أسباب إختيار الموضوع :

- الرغبة الشخصية في دراسة المواضيع المتعلقة بالحركة الوطنية خلال الفترة الاستعمارية .
- الرغبة في البحث في تاريخ المغرب العربي خاصة في فترة الإستعمار .
- محاولة تسليط الضوء على الدور الذي لعبته الحركة الوطنية في تونس .
- عدم وجود دراسات أوفت الموضوع حقه على مستوى جامعتنا " الجيلالي بونعامة"

كانت هذه العوامل دفعا زاد من شدة رغبتنا في إختيار الموضوع .

أهمية الموضوع :

يحتل موضوع حركة تونس الفتاة في طياته أهمية تاريخية تظهر فيمايلي :

تكمن أهمية الموضوع في كونه يندرج ضمن الحقل السياسي ، حيث أنه يبحث عن كل الحقائق التي تتعلق بحركة تونس الفتاة إبتداءا من الإرهاصات الأولى لنشأتها وأهم نشاطاتها ومواقفها البارزة على الساحة الوطنية ، ومدى فاعلية هذه المواقف تجاه السياسة الإستعمارية في تونس .

إشكالية الموضوع :

إن إشكالية الموضوع تتعلق بالبحث في موقف حركة تونس الفتاة من الحماية الفرنسية من خلال نشاطها في الفترة الممتدة (1907-1912).

ومن هنا نطرح إشكالية الموضوع :

- إلى أي مدى ساهمت حركة تونس الفتاة في بعث الروح الوطنية في نفوس التونسيين وتفعيل النظال الوطني ضد سلطات الحماية ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية التي طرحت على النحو التالي :

- فيما تتمثل الإرهاصات الأولى لحركة تونس الفتاة ؟
- ماهي أهم توجهاتها الفكرية والسياسية ؟
- ماهي أهم المكاسب التي حققتها الحركة على أرض الواقع من خلال نشاطها ؟

ولإجابة على هذه التساؤلات كان علينا الالتزام بحدود البحث التاريخية التي تظهر في الفترة الممتدة مابين (1907-1912) يعود التاريخ الأول إلى ظهور حركة سياسية منظمة لمقاومة الاستعمار لعبت دورا بارزا في دفع النضال إلى البروز على الساحة الوطنية ،أما التاريخ الثاني يرجع إلى حل حزب تونس الفتاة ونفي أعضائها البارزين بعد القمع الذي تعرضت له من قبل سلطات الحماية .

أما فيما يخص منهج البحث فقد إتبعنا منهجين عمليين هما :

المنهج التاريخي الوصفي : الذي يقوم على عرض الأحداث وترتيبها ترتيبا كرنولوجيا في الزمان والمكان والتسلسل التاريخي للأحداث والتطورات التي ارتبطت بموضوع الدراسة.

والمنهج التحليلي : الذي يقوم على تحليل المادة العلمية من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية الموضوعية المرتبطة بالبحث.

ولانجاز هذا الموضوع قمنا بالاعتماد على خطة العمل التي تظهر على النحو التالي:

مقدمة ، ثلاث فصول رئيسية قسمت إلى مباحث تكونت من مجموعة مطالب، خاتمة.

– **الفصل الأول** : تطرقنا فيه إلى فرض الحماية الفرنسية على تونس ، وقد قسمناه إلى مبحثين رئيسين ، فتناولنا في المبحث الأول : فرض الحماية الفرنسية على تونس وأهم الاتفاقيات التي كرست الوجود الفرنسي بها على وجه الخصوص معاهدة باردوا (1881م) ومعاهدة المرسى(1883م) ، والمبحث الثاني : جاء فيه ردود الفعل المحلية للسكان التونسيين من الحماية الفرنسية .

– **الفصل الثاني** : أشرنا في هذا الفصل إلى بوادر ظهور المقاومة السياسية وميلاد حركة تونس الفتاة . إرتأينا تقسيمه إلى مبحثين: تحدثنا في المبحث الأول عن بوادر أو الارهاصات الأولى لحركة تونس الفتاة، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى ميلاد الحركة وبرنامج عملها بالإضافة إلى تنظيمها وقادتها ومرجعيتهم الفكرية.

– **الفصل الثالث** : تناولنا فيه نشاط حركة تونس الفتاة في الفترة الممتدة (1907–1912)، قسمناه هو الآخر إلى مبحثين، خصصنا المبحث الأول إلى نشاط المطلبي لحركة تونس الفتاة، أما المبحث الثاني أشرنا فيه إلى أهم التحركات الجماهيرية التي قاموا بها ضد سلطة الحماية.

وإنتهت دراستنا بخاتمة تضمنت حوصلة لأهم الأحداث التي توصلنا إليها من خلال الدراسة.

ومن أجل الإلمام بالموضوع من كل جوانبه استعنا في بحثنا بمجموعة من المصادر والمراجع متنوعة وثرية نذكر منها:

أ. **المصادر**:

– عبد العزيز الثعالبي "تونس الشهادة " بإعتباره مصدرا ،لأن صاحبه عايش أحداث تونس في الفترة المعاصرة ،اعتمدنا عليه في دراسة نشاط حركة تونس الفتاة وفقا لتسلسها التاريخي.

– الجزء الأول من "حياة كفاح " لأحمد توفيق المدني ، هو أيضا من المصادر التي استفدنا منها خاصة في الوقوف في تحركاتها الجماهيرية ضد الإحتلال.

ب. المراجع:

– الطاهر عبد الله ، كتاب الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية وقومية) تناول جميع محطات الحركة الوطنية التونسية من بدايتها إلى غاية الإستقلال.

– خليفة الشاطر وآخرون، " كتاب الحركة الوطنية ودولة الإستقلال " لقد كان مرجعا أساسيا لنا في البحث ، حيث اعتمدنا عليه في دراسة المسار النضالي لحركة تونس الفتاة. وخلال عملية البحث استعرضتنا مجموعة من الصعوبات التي نذكر منها:

– صعوبة الوصول إلى المصادر التي تناولت الحركة الوطنية التونسية.

– صعوبة الوصول إلى المراجع باللغة الأجنبية.

– نقص المادة العلمية والكتب المتخصصة في موضوعنا في المكتبة المركزية لجامعتنا.

ومن خلال ذلك فقد استطعنا بفضل الله وعونه على التغلب على تلك الصعوبات وانجاز موضوعنا، مع العلم أنه لاتخلو أي دراسة من النقائص والثغرات.

الفصل الأول

الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل الأولى عليها

يمثل النصف الثاني من القرن التاسع عشر مرحلة تاريخية هامة تضافرت فيهامجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، أوقعت بتونس تحت الحماية الفرنسية سنة 1881، فكان ذلك فاتحة مرحلة جديدة من المواجهة بين التونسيين وحركة الاستعمار.

المبحث الأول : الحماية الفرنسية على تونس 1881.

المطلب الأول : أصول فرض الحماية الفرنسية على تونس

كانت وضعية تونس[1] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تثير مطامع القوى الأوروبية العظمى أمثال انجلترا وفرنسا وحتى ايطاليا، فقد أبدت هذه الدول اهتماما مبكرا بهذا البلد الصغير، وكانت اهتماماتها تخضع لعوامل استراتيجية واقتصادية وسياسية واجتماعية . [2]

إن موقع تونس الذي كان يتحكم في حوضي البحر المتوسط الشرقي منه والغربي أكسبها مكانة استراتيجية كبرى وصار احتلالها يشكل أهمية بالغة .[3] وكانت إهتمامات القوى الأوروبية العظمى بالجانب الاقتصادي لأن بلدان مثل فرنسا وانجلترا كانت في أمس الحاجة لايجاد أسواق ، ومجالات لاستثمار فوائض رؤوس أموالها ومصنوعاتها ، بالإضافة إلى أن أوروبا الغربية عرفت مرحلة ركود إقتصادي امتدت من سنة 1873 إلى سنة 1893، حتمت عليها البحث عن أسواق خارجية ومجالات لاستثمار أموالهم المكدسة.[4]

---

[1]– إن الاسراف في الدولة التونسية بلغ المنتهى مما دفع بها أن تلتمس القروض من الدول الأوروبية وفرض ضرائب باهضة على المواطنين (المجبي والعشر)، فسادت في البلاد اضطرابات ولم تستطع الدولة التونسية تسديد ديونها، وفي هذه المعمعة كان الماليون الأوروبيون على استعداد على استعباد تونس ماليا ، فأعلنت الدول العظمى (فرنسا ، بريطانيا وايطاليا) افلاسها وتنصيب لجنة مالية تتصرف في مداخلها ومصارفها وبذلك فقدت تونس مقوما هاما من مقومات سيادتها. (انظر: علي المحجوبي، **إنتصاب الحماية الفرنسية في تونس**، تع:عمر بن ضو و آخرون ، د.ط، دار سراس للنشر ، تونس ،1986، ص 10-11-12).

[2]– علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 26 .

[3]– يحي جلال ، **مدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث**، د.ط ، دار المعارف ،مصر ، 1965 ، ص 259.

[4]– علي المحجوبي، مرجع سابق ، ص 26 .

وهكذا باتت الايالة التونسية في مثل هذه الظروف سوقا للمصنوعات الأوروبية، وحقل لاستثمار رؤوس الأموال الانجليزية والفرنسية في المقام الأول ، والايطالية في مقام ثاني، حيث أن ايطاليا بدأت تلعب دور القوى العظمى بعد اعادة وحدتها، وأصبحت مصالحها وأطماعها في تونس لا تقل عن مصالح فرنسا وأطماعها في هذا الاقليم، وهكذا تتضح أسباب التدخل الاقتصادي لهذه القوى الثلاث في تونس. [1]وقد تمثل هذا التدخل في بادئ الأمر بالهيمنة على السوق التجارية والمالية ، وقد تجلى هذا التوسع التجاري في تلك المعاهدات اللامتكافئة التي فرضتها إنجلترا على الباي سنتي 1863-1875، وايطاليا سنة 1868 التي أعفت البضائع الأوروبية من جل الرسوم الجمركية وكذلك المكوس الداخلية، غير أن هذا الشكل من التوسع لايمثل رهانا بالنسبة للدول الأوروبية نظرا لضعف القدرة الشرائية للسكان التونسيين بحيث لم يكن يوفر لهذه الدول أرباحا ذات أهمية.[2]

أما في مجال التوسع المالي فكان يتم في البداية بواسطة القروض التي كانت تقدم إلى الباي بنسب ربح مرتفعة ،وكانت هذه الأموال في واقع الأمر متأتية من فرنسا وانجلترا وايطاليا ، التي لم تلبث أن استغلت عجز حكومة الباي عن تسديد فائدة ديونها في سنة 1870 لتهيمن بذلك على مالية الايالة ، وقد كان التنافس بين هذه الدول يحتد كلما ضاقت مجالات الاستثمار بأوروبا، وأصبحت كل دولة تعمل على ضمان أكثر مايمكن من الامتيازات في الإيالة لرعاياها من أصحاب رؤوس الأموال، وعلى استثمار أكثر مايمكن من أموالها في هذه البلاد .[3]

[1]- يحي جلال ، مرجع سابق ، ص 262.

[2]- علي المحجوبي، مرجع سابق ، ص 30-31.

[3]- نفسه ، ص 31.

حيث تدخل القنصل الانجليزي ريتشار وود (RICHARD.WOOD)[1] لدى مصطفى خزندار[2] قصد الحصول على امتيازات لصالح رجال الأعمال البريطانيين، ففي أوت 1871 تحصلوا على امتياز يتمثل في مد خط حديدي بين تونس وحلق الواد من جهة، وتونس وباردو من جهة اخرى لحساب الشركة الانجليزية لمدة 99 سنة . وقد أثارت هذه الامتيازات الممنوحة لانجلترا حفيظة كل من فرنسا وايطاليا ، مما دفع بقنصلهما لبذل المزيد من الجهد للحصول على مثلها من الامتيازات لفائدة مواطنيها ، وكانت ايطاليا أكثر حماسا من فرنسا مما مكنها من الحصول على الخط الحديدي تونس – حلق الوادي – المرسى. [3]

إلا أن اهتمام انجلترا بالبلاد التونسية بدأ يضعف بعد حصولها على جزيرة قبرص سنة 1878 ، مما دفعها إلى بيع هذا الخط الحديدي في المزاد العلني، وقد تمكنت الشركة الايطالية "روبطينو" من كسب هذا المزاد على حساب شركة السكك الحديدية "بون قالمة " (Le compagine bone–Guelma)، وقد دفعت هذه الجرأة التي اتسمت بها السياسة الايطالية في تونس بفرنسا إلى بذل قصارى جهدها لضمان التفوق الفرنسي في البلاد التونسية.[4]

---

[1]–ريتشاروود : تولى منصب كقنصل لانجلترا في تونس سنة 1857 م ، قام بجولة في عدة مدن تونسية بحجة ممارسة نشاطه الدبلوماسي، يدعو الأهالي للالتفاف بالباي و الالتزام بالهدوء و يبصرهم بعقيدة الأمور وتبع هذه السياسية لتثبيت نفوذ بلاده في تونس ومواجهة نفوذ فرنسا. (انظر: عبد الله العروي ، **مجمل تاريخ المغرب** ، ط2، المركز الثقافي و العربي ، الدار البيضاء ، 2009 ،ص 115).

[2]– مصطفى خزندار : ولد سنة 1817 ، أصله من قرية قرب ساقس جلب إلى تونس وسنه دون العشرين سنة أخذه أحمد باشا ورباه ، تعلم القراءة والكتابة وبعض الفروض العينية كالتجويد والصلاة ، ولاه أحمد باشا في وزارة العمالة . (انظر : محمد ، بيرم الخامس ،**صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار**، ج2 ، ط1 ،دار صادر، القاهرة ،1890، ص 224).

[3]– علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 32.

[4]– نفسه ، ص 34.

ومع قدوم القنصل الفرنسي روستان ROUSTAN [1]إلى تونس أواخر 1874، اشتد الضغط الفرنسي للحصول على مشاريع اقتصادية ، وفعلا بالرغم من معارضة انجلترا وايطاليا تحصل الطرف الفرنسي على مشروع الخط الحديدي بجهة مجردة، لفائدة شركة باتينيول التي حولت الامتياز على فرعها أي إلى شركة السكك الحديدية " بون قالمة " ، ولم يتوان روسطان تيودور استعمال شتى الوسائل التي تجبر الحكومة التونسية على منح امتيازات للمؤسسة الفرنسية، حيث كان يرى أن الاستعمار الاقتصادي يكتسي أهمية بالغة،إذ يعتبر مدخل للتدخل السياسي، بل والعسكري متى قررت الحكومة الفرنسية احتلال الإيالة.[2]

وظل روستان متحمسا لتطبيق هذا البرنامج خاصة بعد تغيير موقف الدول الأوروبية، حيث أصبحت هذه القوى لاتمانع من إنتصاب الحماية الفرنسية على تونس بإستثناء إيطاليا ، وتبلور ذلك في كواليس مؤتمر برلين[3] 13 جوان – 13 جويلية 1878، حيث شجعت كل من انجلترا وألمانيا فرنسا على بسط نفوذها على تونس ، فانجلترا تخلت عن تونس لفائدة فرنسا مقابل هيمنتها على قبرص.[4]

كما وجدت نفس الدعم من ألمانيا، فبعد أن ألحقت ألمانيا مقاطعة الألزاس واللورين صرفت عنايتها للاحتفاظ بهما وإبعاد فرنسا عن فكرة الأخذ بالثأر ، فرأت أن تفسح لها

---

[1] روستان: قائد الجمهورية الفرنسية في تونس تمت على يده توقيع معاهدة الحماية 12 ماي 1881، هو اخر قنصل فرنسي بتونس (انظر: محمد بن خوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تق: حمادي الساحلي، الجيلالي بن يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 129).

[2]– خليفة الشاطر واخرون ،**تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال** ، ج3 ، د.ط ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، 2005 ، ص 11.

[3]– مؤتمر برلين : هو إتفاق دولي بين الدول الأوروبية عقد في جوان 1878 من أجل تقسيم جزئي للامبراطورية العثمانية .(انظر : عبد الوهاب الكيالي ، **الموسوعة السياسية** ، ج1، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، ص 520).

[4]– الحبيب ثامر، **هذه تونس** ،تق: الرشيد إدريس ، تح: حمادي الساحلي ، ط1، دار الغرب الإسلامي،لبنان،1988،ص 24.

المجال خارج أوروبا ، وأيد المستشار الألماني بسمارك[1] الذي كان يسعى بصفة عامة لاحتفاظ بالوضعية التي نتجت في أوروبا من حرب 1870.[2]

وقد أكد ذلك في 4 جانفي 1879 في تصريح له مع السفير الفرنسي ببرلين "دي سان فاليي" ذكر فيه : "إني أعتقد بأن الإجاصة التونسية قد نضجت و آن لكم أن تقطفوها" وبهذا صارت فرنسا تتصرف بكل حرية في تونس منذ أن تخلت ألمانيا وإنجلترا عن هذه المسألة غداة مؤتمر برلين . [3]

رغم كل الظروف الملائمة ظلت فرنسا مترددة قبل أن تثير المسألة التونسية ،لأنها كانت لا تزال تعيش تحت تأثير هزيمة سنة 1870، وتوجه أنظار الرأي العام الفرنسي نحو الحدود الألمانية لأخذ بالثأر وإسترجاع مقاطعتي الألزاس واللورين، بالإضافة إلى اعتبارهم تأييد بسمارك للتدخل الفرنسي في تونس مناورة يقصد بها المستشار الألماني تعكير العلاقة الفرنسية الايطالية وعزل فرنسا على الصعيد الأوروبي.[4]

إلا أن الضغوط التي قام بها رجال الأعمال الفرنسيين والمضاربون على الديون التونسية والحزم الذي أظهرته ايطاليا فيما يتعلق بأعمالها بالايالة، دفعت فرنسا إلى الخروج من جمودها بسلك سياسة استعمارية وتبسط حمايتها على البلاد التونسية ، وبالتالي هذا التحول الذي طرأ دفع رئيس الحكومة الفرنسية جول فيري للتدخل مباشرة في شؤون الايالة وكان ذلك في شهر مارس من سنة 1881.[5]

---

[1]– بسمارك : هو سياسي بروسي كبير من أهم العاملين على توحيد ألمانيا، تولى منصب المستشارية من عام 1871حتى عام1890، ومن أهم منجزاتها هو اقامة الامبراطورية الألمانية الثانية ،وهو من أكبر المشجعين للسياسة الفرنسية في تونس.(انظر : عبد الوهاب الكيالي ، مرجع سابق، ص 542) .

[2]–خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 17 .

[3]– علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 36.

[4]– نفسه، ص 39.

[5]– نفسه ، ص 39.

المطلب الثاني : توقيع معاهدة باردو

كانت تونس أول تجربة لنظام الحماية في تاريخ الإستعمار الفرنسي، وقد إستهدف فيري مبتدع هذا النظام أمرين أولا: اسكات المعارضة الدولية بحجة أن فرنسا لم تقضي على كيان الدول المحمية بالضم ، والثاني : إقناع المعارضة الداخلية بأن الحكومة لن تتورط في أعباء مالية جديدة ، لأن من مميزات الحماية أنها تحمل الدول المحمية نفقات الاحتلال وجميع مايترتب على الاصلاحات الادارية والاقتصادية المفروض إدخالها بواسطة الدول الحامية، ومن الواضح هذا النظام يتماشى مع أهداف جول فيري العامة من الاستعمار، إذ يقدم الاستغلال الاقتصادي على مسألة المجد القومي.[1]

وقد مهدت فرنسا للحماية وأخذت تختلق الذرائع لاحتلال تونس، فكانت المشاكل على الحدود الجزائرية الفرنسية هي أحسن وسيلة يمكن أن تتخذها فرنسا كذريعة للتدخل في شؤون باي تونس محمد الصادق [2] (1859-1882)، وذلك في 30 مارس1881 حيث حدث اشتباك على الحدود بين القبائل بخصوص قبائل بني خمير[3]، وآخر حادث سجل هو اغتيال مواطن من أولاد سدرة من قبيلة خمير في شهر فيفري 1881، عثر عليه صحبة فتاة من قبيلة ناهد الجزائرية كانت على موعد معه في مقاطعة قسنطينة، مما أعطى لفرنسا الحجة

---

[1]- صلاح العقاد ،، **المغرب العربي في التاريخ الحديث و المعاصر (الجزائر، تونس،المغرب الأقصى)** ، ط6 ،مكتبة الأنجلو المصرية ،1993 ، ص 190 .

[2]- محمد الصادق:هو محمد الصادق بن حسين بن محمود باي ، ولد في 07-02-1813، ورث الحكم عن أخيه في 23-12-1859 ، دام حكمه 22 سنة شهد عهده ثورة علي بن غداهم سنة 1864 ، وتم في عهده توقيع معاهدة الحماية ، توفي في سنة 1882. (انظر : الشيباني بن بليغت ، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882)** ، تق: عبد الجليل التميمي ،د.ط ، مؤسسة التميمي للبحث و المعلومات ،صفاقس ، 1995 ، ص 65.

[3]- بني خمير : هو عنصر من سكان تونس سميت بإسمه السلسلة الجبلية الممتدة على ساحل البحر بالشمال الغربي من البلاد ، أما عن أصل سكانها فهم ينحدرون من رجل يدعى خمير إبن عمر هو أحد مشاهير أصحاب عقبة بن نافع وبنو خمير كانوا في أول أمر بجنوب البلاد التونسية ، حيث كاونوا أتباع لشابية القيروان وأثناء القرن 18 هاجروا إلى الشمال بالمنطقة الجبلية التي سميت بإسمهم وبنو خمير ينقسمون إلى عدة بطون منها : أولاد عمر ، أولاد بن سعيد ... (انظر : محمد الطالبي ، **دائرة المعارف التونسية في تاريخ إفريقيا** ، تر: العربي رزاق ، د.ط ، دائرة المعارف ،تونس،1994،ص ص90-93-94).

لتدخل في الشأن الفرنسي فإستغل ذلك جول فيري JULE FERRY، وقام باعلام البرلمان الفرنسي بحادث توغل القبائل يوم 04-04-1881 ، وطلب بتخصيص إعتماد مالي للقيام بعملية عسكرية بحجة ردع القبائل على الحدود التونسية.[1]

أما باي تونس فبمجرد أن سمع بحادث توغل القبائل والموقف الفرنسي من الحادث، أمر بالتحقيق في الحادث مقترحا معاقبة الجناة بإرسال قوات تونسية لمحاسبتهم ، غير أن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك و قررت معاقبة المعتدين بنفسها ، بعدها أخذت تحشد الجيش على الحدود التونسية.[2]

وفي 24 أفريل 1881 زحف الجيش الفرنسي بتعداد 35000 جندي من الجزائر إلى تونس بقيادة الجنرال " لوجرو Logerot " ، فاحتلوا مدينة الكاف في 26 أفريل 1881وسوق الأربعاء في 29 من نفس الشهر ، وعين الدراهم في 11 ماي 1881، وفي نفس الوقت قامت وحدة المشرق البحرية باحتلال طبرقة بعد أن قصفتها بالقنابل[3]، وفي 01 ماي استسلمت مدينة بنزرت[4]دون مقاومة، حيث بها فرقتان (موران MOURAND)، وبريار[5] (BREART) اللتان كانتا متمركزتين قبل ذلك في مدينة طولون TOULON الفرنسية

---

[1]– محمد عصفور سلمان، **الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 والموقف العثماني والأوروبي منها**، مجلة ديالى، ع56، العراق ، 2012م، ص 04-05.

[2]– نفسه، ص 05 .

[3]– نقولا زيادة ،**تونس في عهد الحماية**، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2002، ص 100 .

[4]– بنزرت : هي مدينة واقعة على الساحل الشمالي لتونس على خليج مسمى بإسمها، وهي قاعدة حربية هامة عمل الفرنسيون على تحصينها و توسيع مينائها، حتى قيل أنه يتسع لأساطيل العالم جميعهم .(انظر : لحسن محمد جوهر ، **تونس** ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، 1961 ، ص 103) .

[5]– بريار : هو جنرال فرنسي ، وقائد الحملة الفرنسية الأولى على تونس في أفريل 1881 ،فرض الحصار على قصر الباردو . (انظر : محمد عصفور سلمان ، مرجع سابق ، ص 10) .

الساحلية ، وفي يوم 8 ماي زحف الجنرال بريار BREART إلى مدينة تونس، وفي 12 من نفس الشهر دخل في حامية إلى قصر باردو بمعية القنصل الفرنسي روستان.[1]

وتقدم هذا الأخير بطلب من باي تونس بمقابلة الجنرال الفرنسي بريار عند منتصف النهار على بعد 3 أميال من مدينة باردو ، وقرأ القنصل الفرنسي مشروع المعاهدة ،[2] التي تؤكد رعاية الحكومة الفرنسية لمصالحها ومصالح أسرته والمحافظة على مصالح بلاده ، فطلب باي تونس مدة زمنية لدراسة محتوى المعاهدة وفي الحال دخل الباي في اجتماع مع مجلس وزرائه لمناقشة ما جاء في المعاهدة ، وبعد ساعتيين خرج موافقا على معاهدة باردو[3] ذلك في 12 ماي 1881 ، وبهذا التاريخ قضت فرنسا على استقلال تونس .[4]

المطلب الثالث : توقيع إتفاقية المرسى و التحول إلى الحكم المباشر .

بعد توقيع الباي لمعاهدة باردو في 12 ماي 1881 ، انصرفت فرنسا تدير شؤون تونس على أنها صاحبة الأمر والنهي ، وأصبح روستان الوزير المقيم إلى أن خلفه بول كومبان(18 فبراير 1882).[5]

لكن بعد سنتين من امضاء فرنسا لهذه المعاهدة، تكتشف بأن هذه الأخيرة لم تحقق الغاية المنشودة لها، وأن ماخولته المعاهدة لا يعطيها حق التدخل في شؤون تونس الداخلية التي كان الباي يراها من اختصاص حكومته.[6]

---

[1]– قدادرة الشايب، **الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري (1934–1954) دراسة مقارنة**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (غير منشورة) إشراف : عبد الرحيم سكفالي ،جامعة منتوري، قسنطينة ، 2006–2007، ص 49.

[2]– محمد عصفور سلمان ، مرجع سابق، ص 10.

[3]– للمزيد من التفاصيل انظر بنود المعاهدة في الملحق رقم 01 ص 67.

[4]– نقولا زيادة ، مرجع سابق ، ص 101.

[5]– بول كومبان: شغل منصب مقيم عام بتونس ، ركز على نظام الحماية . (انظر: محمد بن خوجة ، مرجع سابق ، ص 129).

[6]– الحبيب ثامر ، مصدر سابق ، ص 28.

لذلك سعت فرنسا بمختلف الوسائل إلى فرض معاهدة اخرى تضمن لها حق التدخل في شؤون تونس بصفة واسعة وفعالة ، فبدأت سعيها لتحقيق هذه الغاية وأخذت تتحين الفرص لفرض معاهدة ثانية لتحقق اتمام سيطرتها على البلاد ، فسلكت مع الباي الجديد "علي باي"[1] خليفة محمد الصادق الذي توفي في تشرين الأول – أكتوبر 1882 ، طرقا اخرى لارغامه في النهاية على امضاء الاتفاقية المعروفة "بإتفاقية المرسى "[2] المعقودة بتاريخ 08 جوان 1883. [3]

وتعتبر هذه الاتفاقية هي الأخطر في موادها ، حيث أنها تفرض أن هناك حماية فرنسية على تونس، هذا ما لم تنص عليه معاهدة باردو ، حيث نلاحظ أن المادة الأولى منها تقضي على سيادة الباي الداخلية ، وأنها أبقت له حق التشريع شرط أن لاتتعارض مع ما تعهد به الباي في معاهدة باردو. وبعد الحصول على هذه الوثيقة انصرف المقيم العام كومبان إلى شؤون القطر ينظمها سياسيا واداريا . [4]

[1]– علي باي :هو من بايات الأسرة الحسينية في تونس ،نصب بايا عام 1882 ، شهد عهده توقيعه معاهدة المرسى توفي عام 1888 .(انظر :محمد بن خوجة ، مرجع سابق ،ص 133) .

[2]– للمزيد من التفاصيل انظر بنود المعاهدة في الملحق رقم 2، ص 68-69.

[3]– الحبيب ثامر ، مصدر سابق ، ص 29.

[4]– نقولا زيادة ، مرجع سابق ، ص 102.

المبحث الثاني : ردود الفعل الأولى على الاحتلال

المطلب الأول : المقاومة الشعبية المسلحة

إن احتلال تونس دون مقاومة جعل الفرنسيين يعتقدون بأن أمرهم قد استقر ، لذلك قبل قائد الحملة بريار بطلب الباي بعدم دخول القوات الفرنسية إلى العاصمة ، ومن جهة اخرى أسرع جول فيري بسحب جزء كبير من قوات الحملة لكي يظهر للمعارضة براعته في تنفيذ خطة الاحتلال بأقل عدد من الجنود والنفقات ، سيما وأن البلاد كانت مقبلة على انتخابات نيابية وكان جول فيري بحاجة إلى استرضاء أسر الجند ، لكن سرعان ما خاب تقديره حين اندلعت في البلاد ثورة عارمة .[1]

ولقد شجع التونسيون على القيام بهذه الثورة عاملان :أولا قيام ثورة في الجزائر هي ثورة بوعمامة في جنوب وهران 1881 ، و ثانيا احساس التونسيين بأن القوات العثمانية المرابطة في طرابلس الغرب ستؤيدهم أو على الأقل ستأويهم إذا فشلوا في حركتهم .[2]

لذلك بدأت الحركات المضادة الثائرة ضد الإستعمار ، أينما حلوا واجهوا مقاومات عديدة انتشرت عبر البلاد منها : مقاومة في الشمال والوسط والساحل إلى غاية الجنوب.

أولا: المقاومة بالشمال : لقد كانت قبائل بني خمير وسكان الجبال عموما في طليعة حركة المقاومة في شمال البلاد ، فمنذ وصول السفن البحرية إلى ميناء طبرقة حتى هب متطوعون من أولاد بوسعيد والحوامد وأولاد عمر بقيادة شيوخهم للمقاومة ومواجهة الأعداء، ولم تتمكن قوات الاحتلال من الاستيلاء على المدينة في 26 أفريل 1881 إلا بعد قصفها، واعترفت بذلك التقارير الفرنسية: " استماتوا في الدفاع طوال ساعات عديدة ولم يوقفوا القتال إلا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة "[3].

---

[1]– صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص 192.

[2]– نفسه ، ص 193.

[3] علي المحجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية على تونس**، مرجع سابق، ص 40.

ولم تنتهي المقاومة بل زادت حدتها جهة جندوبة بمشاركة مجموعة من القبائل كل من أولاد بوسالم، الشياحة وعمدون، استمرت حركة المقاومة بالشمال وشملت قبائل اخرى التي أظهرت شجاعتها في القتال.[1]

جرت العديد من المعارك ضد عدوين في آن واحد : ضد الباي وأتباعه وضد المحتل الفرنسي ، منها معركة بن بشير 30 أفريل التي استشهد فيها الكثير من التونسيين (حوالي 150) نتيجة تفوق الفرنسيين في ميدان المعركة لاستخدامهم أسلحة متطورة كالمدفعية الثقيلة .

وتواصلت المعارك بالشمال بعد انزال قوات مسلحة اخرى ببنزرت مع القائد العام "بريار" واستمر الاحتلال في كل من ماطر وباجة شهر ماي 1881.[2]

كما جرت معركة اخرى حامية في بيرنة جهة بنزرت مستخدمة أسلحة حربية أرهقت الجيوش الفرنسية، كما انتشرت معارك اخرى شمال البلاد التي وقعت في كل من عين غلال فتح الله وشتاتة وماطر، إلا أنها لم تستطع صد العدوان الفرنسي بسبب ضعف إمكانيات القبائل لنقص الأسلحة جعلتها تتراجع إلى الوراء.[3]

ثانيا: المقاومة بالوسط والساحل: احتضنت القرى والجبال المقاومة التونسية التي كانت إنطلاقتها من الشمال لتنتقل إلى الوسط والساحل.

امتدت المقاومة بالوسط والساحل، وشملت أيضا ضواحي العاصمة التونسية، التي ضمت حوالي 500 فارس من سكان جلاص، و200 جندي من المشاة التابعين لعلي بن

---

[1]– علي المحجوبي ، **إنتصاب الحماية الفرنسية في تونس**، مرجع سابق ، ص 49.

[2]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص 23 ، 26.

[3]– أسماء بوصري ، ضاوية حفصاوي، **المقاومة الشعبية المسلحة بتونس و نتائجها (1881–1907)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث و المعاصر (غير منشورة) إشراف:أحمد بن يغزر ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة خميس مليانة ، 2015–2016، ص 26.

خليفة النفاتي، وفي 17 جويلية حيث ربطت هذه القوات بمكان يبعد عن تونس العاصمة بحوالي 10 كيلومترا، وقام المقاومون بشنَ الهجوم على الضيعات الفرنسية .[1]

وفي 25 ماي تحرك أولاد سعيد للاغارة على هنشير النفيضة الذي امتلكته "الشركة المرسيلية للقرض" فهاجموا أعونها وحملوهم على الفرار إلى الحاضرة واستعد الناس لمواجهة الغزاة فتهافتوا على شراء البارود والسلاح من المهربين الايطاليين والمالطيين.[2] وبعد انتهاء الثوار من مرحلة التعبئة قام هؤولاء بمنع تقدم جيش الإحتلال نحو الوسط بالساحل ، ففي 5 أوت 1881 غادر الثوار من قبيلة الجلاص والقيروان متجهين نحو الشمال وأغاروا بضواحي باردو على قطيع من الإبل يملكه الباي الذي اتهمه السكان بخيانة البلاد وتسليمها للعدو .[3]

تعددت عمليات هجوم قبائل الجلاص والهمامة والسواسي وأولاد سعيد ورياح على القوات الفرنسية ومنعتها من التقدم داخل البلاد ، وتمكن هؤولاء المقاومون من إدخال الرعب والاضطراب في صفوف العدو لمدة أربعة أيام متتالية في الفترة الفاصلة ما بين 26 و29 أوت 1881، كما قام المقاومون بالانقضاض على المعسكرات التابعة لكتيبة المقدمة كوريار المرابطة ببئر حفيظ، كما قاموا أيضا في 28 – 29 أوت 1881 بالتصدي للقوات الفرنسية بمنطقة الأربعين، وفي الأخير أجبر كوريار على الانسحاب نحو حمام الأنف بضاحية تونس العاصمة.[4]

لكن القوات الفرنسية استأنفت زحفها فاحتلت سوسة في بداية سبتمبر، وأصبحت تهدد القيروان. أما المقاومون فاستمروا في مواصلة الهجوم على القوات الفرنسية، ففي شهر سبتمبر 1881 قام قوات من جلاص والهمامة والرياح وغيرهم من المقاومين بالقيام

---

[1]– أحمد القصاب ، **تاريخ تونس المعاصر (1881–1956)** ، تع : حمادي الساحلي ، ط1 ، الشركة الوطنية التونسية للتوزيع ، تونس، 1986، ص 35.

[2]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص26.

[3]– علي المحجوبي، مرجع سابق ، ص 50.

[4]– نفسه، ص 51.

بمناوشات بمنطقة زغوان مع الجيش الفرنسي الذي حرص على غزو القيروان المدينة الثانية الكبرى بالايالة ومركزها الروحي ، قصد تهيئة الرأي العام بفرنسا ومجلس نوابها، فشرعت قوات الاحتلال في السيطرة على الطرق المؤدية إلى القيروان.[1]

دارت معارك عديدة بين الطرفين في الساحل منها: معركة حيدرة في 17 أكتوبر 1881، انتهت لصالح الجانب الفرنسي ، أما في الوسط وقعت معركة الروحية بتاريخ 23 أكتوبر 1881 ، التي كانت نتائجها لصالح الجانب التونسي حيث كبدت القوات الفرنسية في هذه المعركة خسائر بشرية قدرت حوالي 23 قتيل و عدد من الجرحي .كما جرت معركة اخرى بالوسط عرفت بمعركة كدية الحلفاء التي وقعت بتاريخ 25 أكتوبر 1881 لكن نتائجها لم تكن لصالح الجانب التونسي نتج عنها 150 قتيل في صفوف الجيش التونسي.[2]

المقاومة بالجنوب : بعد فشل المقاومة في كل من الساحل والوسط انظم مقاوميها إلى الجنوب لتنظيم صفوف المقاومة هناك.

عرفت مدينة صفاقس عدة اضطرابات خلال شهر جوان 1881 ، وتحركات شعبية واسعة في الاشتراك مع قبيلة المثاليث، و كانت الشائعات الرائجة حول تدخل الدولة العثمانية لطرد فرنسا من البلاد التونسية مما زاد في توتر الوضع في هذه المدينة ،كما أصاب الفزع الجاليات الأوروبية وأعيان المدينة، خشية من عمليات النهب التي يقوم بها الأعراب، ولم يكن لجوء عائلة نائب القنصل الفرنسي بصفاقس في 25 جوان إلى باخرة البشير[3] التونسية ليطمئن الجاليات الأوروبية ،فأسس القائد حسونة الجلولي بمعية الأعيان حراس المدنيين لحماية الأوروبيين من غضب السكان وصيانة المدينة من الأعراب، كما بعثت السلطات الفرنسية إلى تونس لنفس الغرض باخرة الشكال " chacal" التي أرست بصفاقس في 27 جوان 1881 ، مما زاد في هيجان عامة الشعب ، لذلك جمع من المثاليث قنصلية فرنسا

[1]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق، ص 26.

[2]– أسماء بوصري ، ضاوية حفصاوي ، مرجع سابق ، ص 33–34.

[3]– هي باخرة قديمة من بقايا أسطول الباي (انظر : الشايب قدادرة ، مرجع سابق، ص 35).

ونزعوا من فوقها العلم الفرنسي كما ضربوا القنصل الفرنسي ماتيي (mattéi)، في 29 جوان 1881 هاجم الثوار القائد حسونة الجلولي لتواطئه مع الفرنسيين.[1]

تأسست بمدينة صفاقس لجنة للدفاع عنها تحت رئاسة محمد الشريف ضابط المدفعية بحامية هذه المدينة ، فانظمت هذه الأخيرة إلى المقاومة مع القائد محمد معتوق بمساندة الشيخ محمد كمون ، كما عززت حركة المقاومة بعدد كبير من الأعراب، ووصل علي بن خليفة النفاتي إلى صفاقس بداية من شهر جوان 1881 ، فجرت محادثة متواصلة بينه وبين قبائل المثاليث الجلاص والسواسي وصار هذا الأخير القائد الفعلي للمدينة باعتراف سكانها بقيادته وسلطته عليهم ، وبهذا انتظمت حركة المقاومة بصفاقس تحت رئاسة علي بن خليفة ومحمد معتوق ومحمد الشريف. [2]

اشتدت شرارة الثورة على سلطة الباي الموالية لفرنسا من جهة والفرنسيين من جهة اخرى، وأرسلت فرنسا أسطولها الذي أخذ يقذف حممه على المدينة .[3] وشرعت بضرب المدينة بقنابلها المدمرة ، وأصبحت الظروف صعبة للسكان أمام هجمات العدو المتكررة، إلا أن المقاومون صمدوا وقاوموا أمام الهجومات الفرنسية التي استمرت في قصف المدينة حتى تمكنوا من احتلال صفاقس ومدن اخرى كسوسة في 11 سبتمبر ، وفي 6 أكتوبر احتلوا العاصمة وقفصة. [4]

اندلعت الثورة في القيروان واضطرت فرنسا لارسال الجنرال "سوسيه " من الجزائر لقمع هذه الحركة التي أصبحت تهدد الوجود الفرنسي كله في تونس ، وتمكنوا من احتلال القيروان في منتصف أكتوبر 1881.[5]

---

[1]– علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 35.

[2]– شوقي عطا الله جمل ،**المغرب الكبير في العصر الحديث(ليبيا ،تونس، الجزائر، المغرب الأقصى** ، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ، 1977، ص 311.

[3]– نفسه، ص 311.

[4]– نفسه ، ص311.

[5]– علال الفاسي ،**الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** ، ط1 ، مطبعة الدراسة ، القاهرة ، 1948، ص 45.

بعد صراع عنيف أبلى فيه التونسيين بلاءا حسنا، استمرت مقاومتهم عدة شهور وتعددت في جهات مختلفة في الجنوب التونسي.[1]

لكن رغم عنف الثورة وصمود المقاومون، إلا أنهم لم يستطيعوا الوقوف في وجه القوات الفرنسية، وذلك بسبب عدم تكافئ القوى وفي الأخير اضطروا إلى الانسحاب إلى طرابلس.[2]

المطلب الثاني : ردود الفعل على المقاومة.

أ-موقف الباي:

بعدما فرضت الحماية الفرنسية على تونس بتوقيع الباي محمد الصادق معاهدة باردو بتاريخ 12 ماي 1881 ، التي جاء فيها مساندة الباي للقوات الاحتلال الفرنسي ، وأبدى موافقته على أن تحتل القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتاب النظام والأمن بالحدود والسواحل ، وتعهد الباي بأن لا يعقد أية معاهدة خارجية دون موافقة الدولة الفرنسية .[3]

وقد برز موقف الباي الحقيقي في اللقاء الفاجع عندما اجتمع قبل يوم واحد من توقيع المعاهدة مع مستشاريه ليستطلع رأيهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي ، فحسب ما ذكر عبد الله الطاهر في كتابه أنه كان رأي اللواء العربي زروق "رئيس البلدية" هو عدم الاستسلام والانتقال على العاصمة وإعلان المقاومة ، بينما كان موقف الباي هو الاستسلام والخضوع لفرنسا، وهنا إنكشف موقف الباي الذي يعبر عن مصالحه الضيقة.[4]

---

[1]- شوقي عطاالله الجمل ، مرجع سابق، ص 311.

[2]- نفسه، ص 311.

[3]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 29.

[4]- عبد الله الطاهر ،**الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830- 1956**، ط2،دار المعارف لطباعة و النشر،سوسة ، تونس ، 1990،ص 26.

قام الباي بمساعدة القوات الفرنسية بامدادهم ألف رجل هذا من جهة ، ومن جهة اخرى أعلنت الدولة عن تجهيز محلة لتهدئة القبائل التي بقيت صامدة ولم ترضى بالاستسلام لفرنسا، هذا ما أثر سلبا في عرقلة مسار المقاومة المسلحة ضد المحتل.[1]

ب- موقف الدولة العثمانية :

من العوامل التي ساهمت في ظهور المقاومة في الجنوب التونسي حسب ماذكره علي محجوبي في كل من مدينتي صفاقس و قابس في شهر جوان 1881 تعود إلى تلقي المقاومين الشائعات الرائجة آنذاك حول تدخل الدولة العثمانية لطرد فرنسا من البلاد التونسية ، وخشية الجاليات الأوروبية من تطور الأمور وحدوث عمليات النهب من طرف الثوار لممتلكات الجاليات.[2]

وبعد تنظيم المقاومين لصفوفهم ، وانضمام قبائل الفراشيش والجلاص ونفات وماجر وبني يزيد ، قاموا بتنصيب علي بن خليفة زعيما لهم ، فقام هذا الأخير بربط الصلة مع السلطات العثمانية في طرابلس الغرب وطلب انضمام قواتهم لقوات المقاومة .[3]

وبعد اجتماع القيروان قرر المجتمعين ارسال مبعوثين إلى باشا طرابلس لمعرفة موقفه من المقاومة ، وكان رد خير الدين التونسي مؤكدا لهم عن عجز الدولة عن تقديم يد العون للمقاومين.[4]

المطلب الثالث : أسباب فشل المقاومة

رغم كل المساعي التي بذلها الشعب التونسي في صد نظام الحماية المفروض عليهم، إلا أنهم لم يستطيعوا تغيير الأوضاع ، وعرفت مقاومتهم خفوقا وفشلا على المستويين الداخلي والخارجي ، نتيجة لجملة من الأسباب التي يمكن إجمالها فيمايلي :

---

[1]- أسماء بوصري ، ضاوية حفصاوي ، مرجع سابق ، ص 43.

[2]- علي المحجوبي، مرجع سابق ، ص 48.

[3]- أحمد القصاب ، مرجع سابق ، ص 24.

[4]- نفسه ، ص 28.

1- موضوعيا لم يكن بوسع المقاومة الصمود طويلا أمام الغزو العسكري الفرنسي، وذلك لعدم توازن القوى الذي كان واضحا، ضف إلى ذلك قلة الخبرة العسكرية والتقنية لدى الجانب التونسي وحاجة المقاومين للسلاح.[1]

2- انعدام وجود خطة موحدة للمقاومة، بالإضافة إلى غياب التنسيق في صفوف المقاومين نتيجة لانقسام القيادات، فقد حاول علي بن خليفة أن يوحد القيادات فاجتمع مع مجاهدي صفاقس والقيروان لكنهم رفضوا ذلك وأبى كل زعيم أن يتولى قيادة قبيلته بنفسه، فاستغلت فرنسا هذا التفكك واستطاعت أن توقع بهم بكل سهولة .[2]

3- تأثير الباي وأعوانه تأثيرا سلبيا على المقاومة المسلحة بوقوفه إلى جانب المستعمرين، وتقديم المعلومات وإدلاء العارفين بمخابئ البلاد وطرقاتها.[3]

4- استسلام العديد من سكان المدن كبنزرت والقيروان والكاف وباجة وغيرها للعدو، حيث كانت مقاومة التونسيين للاحتلال بالدرجة الأولى نابعة من الجبال والبوادي والأرياف، كما لم تلقى سلطات الحماية مقاومة تذكر في تونس العاصمة بإستثناء المحاولات التي قام بها العربي زروق رئيس بلدية الحاضرة. [4]

5- استشهاد زعماء وقواد المقاومة أمثال علي بن عمارة ومحمد الهديلي، مما دفع بالثوار إلى الإنسحاب أمام ضغط القوات الفرنسية وضعف موقفهم في الدفاع عن البلاد.[5]

---

[1]- شوقي عطاالله الجمل ، مرجع سابق ، ص 311.

[2]- نفسه، ص 311.

[3]- محمد علي داهش ،**دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر** ، د.ط، مركز الكتاب الأكاديمي ،عمان ، 2011، ص45.

[4]- علي المحجوبي، مرجع سابق ، ص 55.

[5]- الشيباني بن بليغت ، مرجع سابق ، ص 221.

6- عجز الأتراك عن تقديم العون للثوار الذين كانوا يتطلعون للدولة العثمانية لممارسة واجبها في هذه البلاد الإسلامية التي كانت تابعة للسلطان، وعدم وصول المدد العثماني جعل الثوار يواجهون عدوا متفوقا عددا وعتادا. [1]

بعد فشل المقاومة الشعبية المسلحة في تحقيق آمال الشعب التونسي، ظهرت مرحلة جديدة من الكفاح وهو الكفاح السياسي التي ساهمت في ظهوره العديد من العوامل الاجتماعية والفكرية والثقافية، التي جعلت من التونسيين يغيرون وسيلة كفاحهم.

[1]- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق ، ص 311.

الفصل الثاني

بوادر المقاومة السياسية وميلاد حركة تونس الفتاة

بعد نهاية الكفاح المسلح في تونس، ظهرت مرحلة جديدة من الكفاح وهو الكفاح السياسي، الذي بدأ يرتكز أكثر فأكثر، وتجلى في تشكيل جماعة النخبة لأول حركة سياسية منظمة ضد الاحتلال ألا وهي " حركة تونس الفتاة".

المبحث الأول : بوادر المقاومة السياسية

المطلب الأول :ظهور الحركة الإصلاحية

تعود بوادر ظهور الحركة الوطنية التونسية أو العمل السياسي عام 1884 م، وقد تتطور الوعي الوطني التونسي في مطلع القرن 20، نتيجة تأثر التونسين بعوامل داخلية تمثلت في السياسة الاستعمارية الفرنسية التي أضرت بالأغلبية الساحقة من السكان ، بالإضافة إلى عوامل خارجية تجلت في الحركة الاصلاحية بالمشرق العربي.[1]

فظهرت حركة إصلاحية بتونس على يد مجموعة من رواد الاصلاح، من أمثال أحمد الورتتاني ، الشيخ محمد السنوسي ، الذي بدأ حركته الاصلاحية بعد فرار اللواء العربي زروق[2] وفشل حركته الاحتجاجية ضد الباي[3].

خلال الفترة مابين 6 ديسمبر 1884 إلى 04 جانفي 1885، قاد السنوسي حركة قوية رفقة أكثر من 3000 شخص يحمل عريضة ممضاة من مختلف طبقات الشعب لسمو الباي يحتجون فيها على شكل الحكم المباشر الذي تجريه السلطات الفرنسية بالبلاد، فاستقبلهم سمو الباي ، ولما ألقى الشيخ السنوسي خطابا يصور له حالة الشعب التونسي فتعاطف الباي مع المحتجين ، وأكد لهم تضامنه معهم في المطالبة بحقوقهم الرسمية لكن مالبث أن

---

[1]– علي داهش، مرجع سابق، ص 46.

[2]– محمد العربي زروق : هو رئيس بلدية تونس العاصمة في عهد محمد الصادق باي 1814 – 1882 ، كان من أول المعارضين لتوقيع معاهدة باردو و ألح على الباي لرفضها ، واعتبر من أجل موقفه المشرف أول المقاومين للحماية الفرنسية ، توفي ف جوان 1902 بالمدينة المنورة .(انظر : محمد بوذينة، **أحداث العالم في القرن العشرين**، ج1، منشورات محمد بوذينة، تونس، د.ت، ص95).

[3]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 30.

نفي قائد هذه الحركة إلى مصر وهناك احتك بحركة العروة الوثقى،[1] التي بدأ يعمل على التبشير لهاونشر مبادئها مبينا أهدافها الرامية إلى تحرير العالم الاسلامي وتوحيده، فلقي من خلال طرحه لهذه الأفكار استجابة الاوساط التونسية التي انظمت للعروة الوثقى وكافحت في سبيل نشر مبادئها فكان أول عمل قام به أعضائها هو اصدار مجلة العروة الوثقى التي ربطت الصلات النضالية بين المشرق والمغرب. [2]

كان قادة هذه الحركة واقعين فكريا تحت تأثير التيار الاصلاحي المشرقي ، بقيادة جمال الدين الأفغاني[3]وتلميذه محمد عبده[4] الذين حاولوا بعث الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي ، فكانت زيارته الأولى إلى تونس سنة 1884، والتي وجد فيها نخبة اصلاحية حققت ما كان يطمح إليه وعلق عليها أمالا عريضة ، كان محمد السنوسي من الذين استقبلوه واستضافوه في بيوتهم وممن أعجبوا بأراءه الاصلاحية وتحمسوا لها،[5] ثم كانت زيارته الثانية إلى تونس فتوطدت علاقته مع الشيخ الطاهر بن عاشور[6]،

---

[1]– علال الفاسي ، مصدر سابق ، ص 47

[2]– يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين** ،د.ط، دار هومة للنشر والطباعة ، الجزائر ، 2014،، ص 334–335.

[3]– جمال الدين الأفغاني : ولد في قرية أسعد أباد في أفغانستان عام 1839 ، أنشأ جريدة العروة الوثقى التي تدعو المسلمين إلى النهوض ببلادهم و الثورة على المستعمرين و التحرر من إستبدادهم . (انظر : علي محافظة ، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798–1914) الاتجاهات الدينية و السياسية و الاجتماعية و العلمية** ،د.ط، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ،1987 ،ص 71).

[4]– محمد عبده : هو من أعلام النهضة الإسلامية وأحد قادة الفكر العربي ، ولد في قرية محلة النصر عام 1849 من عائلة محافظة مصرية ، أسس مجلة العروة الوثقى مع الأفغاني .انظر : جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ، **العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى** ، تحقيق صلاح الدين البستاني، ط1 ، دار العرب ، القاهرة ،1993م،ص17).

[5]– بلقاسم الغالي ، **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته واثاره** ، ط1 ، دار ابن حزم ، لبنان ، 1996، ص 186–187 .

[6]– الشيخ طاهر بن عاشور : هو عالم وفقيه تونسي ، ولد في سبتمبر سنة 1879 م بضاحية المرسى ، تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته ، من أهم مؤلفاته : أليس الصبح بقريب و من الصحف : مجلة المنار(انظر: جمال محمود أحمد أبو حسان ، الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة و مواقف) ، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، المجلد 5 ، العدد 2 ، 2009 م ، ص ص 52 – 72).

ولقبه بسفير الدعوة وكان الشيخ هو الآخر معجب بآراء الإمام عبده.[1]

وبعد سنتين من هذه الحركة ظهر مصلح جديد في البلاد قاد الحركة بعده، هو الشيخ المكي بن عزوز من شيوخ الزيتونة السلفيين ، الذي نشر في الوطن دعوة لمقاومة الشيوخ الجامدين الذين كانوا السبب في عرقلة الإصلاح .[2]

وكان لهذا الشيخ الفضل في تكوين ثلة من الشباب التونسي المتنورين ، وقد استمر في مقاومته لاستعمار حتى توفي هذا الشيخ بعد نفيه إلى المشرق العربي.[3]

وإن يكن الشيخ المكي بن عزوز[4] قد توفي ، إلا أن أفكاره لم تمت إذ تبناها مجموعة من الشباب الوطني وكان من بينهم عبد العزيز الثعالبي ، وسرعان ما اجتمع هؤولاء التلاميذ وأسسوا جريدة بالغة الفرنسية للدفاع عن مصالح التونسيين أسموها "المستقبل التونسي" واخرى عربية تحمل إسم "حبيب بورقيبة" واخرى هي "سبيل الرشاد".[5]

المطلب الثاني : النشاط الصحفي

لقد عرف عهد الحماية الفرنسية بتونس نظام منع الصحف ، تجسد ذلك في منع الباي إصدار الصحف بالفرنسية خشية أن يتعرض هو وأسرته للنقد، أو أن يقع التطاول على الاسلام ، وأمام تهاطل المطالب لإصدار الصحف سنة 1884، تم منح بعض الرخص بصفة مؤقتة، والتي أكدت في كتاباتها على ضرورة منح الحرية للصحافة، وبهذا تم إصدار

---

[1]– بلقاسم الغالي ، مرجع سابق ، ص 187.

[2]– علال الفاسي ، مصدر سابق ، ص 46.

[3]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 30.

[4] – المكي بن عزوز(1852–1916): ينحدر أصله من بيت جزائري من نواحي برج بن عزوز قرب بسكرة، كان والده أول من استقر من عائلة بن عزوز بالبلاد التونسية، حيث ولد الشيخ المكي تحت رعاية أبيه العلمية والتربوية وأخذ العلم على علماء الجريد .(انظر: ، يوسف مناصرية ، مرجع سابق ، ص 28).

[5]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 30–31.

قرار مؤرخ في 14 أكتوبر 1884، لوضع حد نهائي لنظام المنع وادخال تونس في عهد حرية الصحافة .[1]

أ-جريدة الحاضرة :

وفي 3 أوت من عام 1888 أصدرت أول جريدة عربية غير رسمية، تصدر أسبوعيا بتونس، سميت بجريدة " الحاضرة " تولى إدارتها علي بوشوشة[2]هو من خريجي المعهد الصادقي ، التف حوله مجموعة من رواد النهضة مثل : البشير صفر، محمد لصرم [3] ومحمد القروي إلى جانب المصلحين من أنصار خير الدين التونسي[4] مثل : سالم بوحاجب ومحمد السنوسي.[5]وكان مقر جريدة الحاضرة هو النادي الذي يجتمع فيه أركان الحركة الاصلاحية .

وقد تميزت جريدة الحاضرة في الاعتدال في مواقفها، بحيث لم تعارض بصراحة نظام الحماية ولم تتغاضى عن نقد التجاوزات الناجمة عنه التي لم تكن في صالح الأهالي [6]حيث

---

[1]- حبيب حسين اللولب ،**دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني 1860-1914** ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، إشراف : جمال قنان، جامعة الجزائر ، 2000-2001، ص 30 ،31 .

[2]- علي بوشوشة (1859-1917): صحافي مزارع ، ينحدر من عائلة ماجدة من بنزرت، أسس سنة 1888 جريدة الحاضرة بالتعاون مع ثلة من الشبان المثقفين.(انظر: الصادق الزمرلي، **أعلام تونسيون**، تق وتع: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 1986، ص ص 133-135).

[3]- محمد لصرم: أصل هذا البيت من القيروان ونسبهم في قبائل الفتح من اليمنية وأخوه أبو العباس أحمد العباس المشهور الذكر في الفضل والأدب ، تقلب في الخطط النبيهة كولاية صفاقص ،ثم صار خوجة عسكر زوواة إذ هو المتصرف في أحوال الزواوة أتاه الأجل المحتوم في 25 من صفر 1221هـ -14 ماي 1806. (انظر : أحمد أبي الضياف ،**إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ،مجلد 4 ، ج7،د.ط، دار العرب للكتاب ،تونس ،1999، ص 52).

[4]- خير الدين التونسي : وزير مؤرخ ومن رجال الاصلاح الاسلامي ،شركسي الأصل ،قدم صغيرا إلى تونس، تعلم بعض اللغات وتقلد مناصب عالية آخرها الوزارة ، من أهم أعماله : كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك.(انظر:عبد الوهاب الكيالي وآخرون، **الموسوعة السياسية** ، ج2 ،د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، د.ت،ص637) .

[5]- عبد المجيد كريم وآخرون، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية**،(**مقاربة 1881- 1864**)، د.ط،المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية جامعة منوبة، تونس، 2008، ص24.

[6]- علي المحجوبي ، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين** ،م2 ،د.ط، منشورات الجامعة التونسية،تونس،1986، ص25.

قامت باثارة قضايا مصيرية تهم كامل سكان البلاد التونسية، فقد طالبت باصلاح التعليم التقليدي والمحافظة على الأحباس وحماية السلع التونسية من المنافسة الأجنبية والمناداة بتمثيل التونسيين في المجالس النيابية [1]، وبهذا فإن جريدة الحاضرة ساهمت في بلورة ايديولوجية اصلاحية.

هذا ماجاء في مقال علي بوشوشة الذي نشره في 20 نوفمبر 1894 ، الذي كان في منتهى الجرأة تحت عنوان مطالبنا وأكد فيه على النقاط التالية :

أولا : ضرورة احترام الشعائر والمعتقدات الدينية ورعاية أساس المحاكم الشرعية للتونسيين.

ثانيا: عدم المساس باراضي الأوقاف لأنها ملكية مخصصة لمآثر خيرية .

ثالثا : اصلاح التعليم التقليدي بادخال مواد عصرية ، وتوسيع نطاق المعارف ، واقامة مدارس للزراعة و الصنائع ، وضرورة ادخال العربية في برنامج المواد المدرسية .

رابعا : حماية المصنوعات التونسية من المنافسة الأجنبية .[2]

خامسا : مشاركة الأهالي على غرار الرعايا الأوروبيين في إنجاز الأشغال العامة .

وبهذا فإن جريدة" الحاضرة " أظهرت من خلال مطالبها المظالم الناجمة عن نظام الحماية ، كما أسهمت مساهمة فعالة في بلورة الرأي العام التونسي .[3]

ب – جريدة الزهرة :

صدرت بتايخ 1890 هي جريدة عربية جديدة، نصف أسبوعية، سميت ب "الزهرة " لصاحبها عبد الرحمان الصنادلي [4] ، الذي تكون بمصر وتأثر برجالها .[5]

---

[1]– عبد المجيد كريم وآخرون، مرجع سابق، ص 25.

[2]– نور الدين الدقي، **حركة الشباب التونسي** ، د.ط،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس ،199،ص 21–21.

[3]– علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904–1934)**، تع: عبد الحميد الشابي، د.ط، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 126.

[4] – عبد الرحمان الصنادلي : هو تونسي من أصل جزائري ، نشأ في مصر و تخرج على يد الشيخ محمد بيرم الخامس ، هو مؤسس جريدة الزهرة .(انظر : عبد المجيد وآخرون ، مرجع سابق ، ص24).

[5]– المنجي الزيدي،**الحرية (التجمع الدستوري الديموقراطي التحولات التاريخية ورهانات التغير)**،ط1،ناشر جريدة الحرية ،تونس ،2008،ص 18.

ظهر عليها منذ البداية قلة الاكتراث والثقة في ادارة الحماية ، وانتقدت سياسة الاستعمار نقدا لاذعا فازداد بذلك صيتها لدى الوطنيين .[1]

وقد أعانت جريدة " الزهرة " جريدة "الحاضرة" إعانة قوية على تهيئة الفكر العام لتلقي برنامجها الاصلاحي ، وكانت فاضحة للمقاصد الاستعمارية التي لم تستطع الحاضرة أن تفضحها ، لذلك قامت سلطات الحماية بالتضييق عليها وثم ايقاف إصدارها سنة 1896م.[2]

وبالرغم من الاجراءات القمعية التي مارستها سلطات الحماية ضد جريدتي " الزهرة" و"الحاضرة" وتعرضهما للوقف، تواصلت النهضة الصحفية وتعززت بصحف عديدة مثل:"سبل الرشاد " لعبد العزيز الثعالبي، و"لسان الحق" و"القلم" و"الصواب" لمحمد الجعايبي و"ترويح النفوس" و"المعارف" و"العدلية" [3]. فأصبحت هذه الجرائد هي لسان النهضة الوطنية ومنارة الكفاح السياسي، غير أن النخبة التونسية أيقنت أن ازدهار الصحافة وازدياد عدد قرائها لا يفي بالحاجة طالما بقي التعليم قاصرا ومتخلفا، ومن هنا انطلق العمل على اصلاح التعليم والنهوض به.[4]

المطلب الثالث : العمل الجمعوي

أ-الجمعية الخلدونية :

تأسست الجمعية الخلدونية في 22 ديسمبر 1896 م، الموافق ل 1314 هـ برئاسة "محمد لصرم " وبمساعدة المقيم العام روني ميي[5]، كان هدفها تلقين العلوم العصرية للشباب التونسي لتوسيع أفاقه العلمية، من خلال تنظيم دروس ومحاضرات في مجالات التاريخ

---

[1]- عبد المجيد كريم وآخرون ،مرجع سابق، ص 25.

[2]- شاوشي حباسي ، **محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية(1914-1920)**، مجلة الدراسات التاريخية ،العدد 7،معهد التاريخ ،الجزائر ، 1993، ص 143.

[3]- المنجي الزيدي ، مرجع سابق ، ص 18.

[4]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 25.

[5]- روني ميي: شغل روني ميي وظيفة المقيم العام بالبلاد التونسية من ديسمبر 1894 إلى نوفمبر 1900.(انظر : علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904- 1934)**، مرجع سابق ، ص 130.

والجغرافيا واللغة الفرنسية والاقتصاد السياسي وحفظ الصحة والفيزياء والكيمياء[1]، حيث دروسها كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى طلبة الزيتونة.[2]

ومن هنا نرى أن الجمعية الخلدونية جاءت لسد الثغرة في التعليم الزيتوني الذي كان محتواه تقليديا قاصرا على المواد الدينية واللغوية ، ويشير د.عبد المجيد في هذا الصدد في كتابه موجز الحركة الوطنية التونسية : " إن التعليم الزيتوني كان متخلفا عن عصره بثلاثة قرون ومراجعه تعود إلى أواسط القرون الوسطى عقيمة تعتمد على الحفظ ".[3]

ويرجع الشيخ طاهر بن عاشور أسباب تخلف التعليم في جامع الزيتونة حسب ماذكره في كتابه "أليس الصبح بقريب " إلى مايلي:

- انعدام وجود خطة تربوية محكمة من قبل علماء عارفين بحاجات الزمان وغايات العلوم .
- اهمال الضبط فالتعليم كان غير مضبوط يتسم بعدم الدقة والتنسيق .
- الابتعاد عن التربية الأصيلة حيث كان التعليم منحصرا فيما تتضمنه القواعد العلمية كالنحو و الفقه مهملا الجانب التربوي.[4]

وقد تم الإحتفال رسميا بإفتتاح معهد هذه الجمعية يوم 15 ماي 1897م .[5] وإفتتح نشاطها بمحاضرة شهيرة للشيخ سالم بوحاجب [6] في تفسير الاية الكريمة : " **وعلم ادم الأسماء كلها**".[7]

---

[1]- علي المحجوبي، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904- 1934)**، مرجع سابق، ص 130.

[2]- علي المحجوبي ، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين** ، مرجع سابق ، ص 26.

[3]- عبد المجيد كريم وآخرون، مرجع سابق، ص 26.

[4]- محمد الطاهر بن عاشور ، **أليس الصبح بقريب** ، ط1،دار السلام للطباعة و النشر ، تونس ،2006،ص ص 117، 121،124.

[5]- عبد المجيد كريم و اخرون ، مرجع سابق ، ص 27.

[6]- سالم بوحاجب : 1828 – 1924 , هو من أعلام عصره ، تخرج من جامع الزيتونة ، زار إيطاليا كما سافر إلى فرنسا و إسطنبول ، كان من الداعين إلى إدخال العلوم الحديثة في برامج التعليم الزيتوني ، وكان من المعجبين بالشيخ محمد عبده ، أصبح عضو بجمعية العروة الوثقى بتونس من اثاره "ديوان خطب وديوان شعر ".(انظر : محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين** ،ط1،ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،لبنان،1982،ص77).

[7]- منجي الزيدي ، مرجع سابق، ص19.

وقد تطرق هذا المدرس الزيتوني إلى موضوع كان يشغل آنذاك كل الأذهان: "هل الإسلام ملائم للعلم " وأجاب على هذا التساؤل بالإيجاب، و بذلك رسم المنهج الذي بقيت الخلدونية تتبعه .[1]

كما أن دروس البشير صفر في التاريخ والجغرافيا كانت منبرا فضح فيه حقيقة السياسة الاستعمارية فذاع بذلك صيتها وأشعت على أقطار المغرب العربي كله .[2]

هذا ما آثار حفيظة شيوخ الزيتونة فناصبوا الخلدونية العداء، كما تعرضت لتهجم غلاة المعمرين الذين رأوا في تفتح الشباب التونسي على العلوم العصرية خطرا لهم، وكانت مواقفهم كالتالي :

– موقف شيوخ الزيتونة : إعتبرت الأوساط الزيتونية المحافظة هذه الجمعية خطرا على القيم الإسلامية . فناصبوا لها العداء وأسموها "الخل ودونية " تهكما وإستنكارا لشأنها ،كما لقبوا البشير صفر ب (البشير كفر).[3]

– موقف المعمرون : كما تعرضت الخلدونية لتهجم غلاة المعمرين الذين تخوفوا تخوفا كبيرا منها حتى قال عنها المعمر دوكرنيار De cerniéres [4]: " عندمايقدر أن تندلع ثورة في البلاد التونسية ، فإن هيئة أركانها تكون قد تخرجت من الخلدونية ".[5]

ومن أجل ذلك كثف المعمرون ضغطهم على المقيم العام "روني ميي " حتى يتخلى عن دعمه للجمعية الخلدونية . وبذلك تراجع نشاطها مما دفع بالمثقفين التونسيين إلى بعث جمعية ثقافية اخرى بديلة لتأخذ المشعل وهي " جمعية قدماء الصادقية " .[6]

---

[1]– علي المحجوبي ،**جذور الحركة الوطنية التونسية (1904–1934)**، مرجع سابق، ص 131.

[2]– نفسه ، ص 131.

[3]– عبد المجيد كريم واخرون، مرجع سابق ، ص 27.

[4]– فكتور دوكرنيار V.DE CRANIERE: ولد سنة 1849 ، هو من أبرز المعمرين ، عين نائب في مجلس الشورى وأسس عدة جرائد، توفي في 1917.(انظر: حبيب حسن اللولب، مرجع سابق ، ص77).

[5]– شارل أندري جوليان، **المعمرون وحركة الشباب التونسي** ،تر:محمد مزالي والبشير بن سلامة،د.ط، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس، 1985، ص77.

[6]– خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 66.

ب-الجمعية الصادقية :

تأسست جمعية قدماء تلامذة المعهد الصادقي في 23 ديسمبر 1905م، على يد قادة الاتجاه الاصلاحي المتخرجون من المعهد الصادقي، وأسندت رئاستها إلى السيد خير الله بن مصطفى[1]، وكان علي باش حانبة وكيل أحباس الصادقية هو المسير الفعلي للجمعية والمشرف على جميع أنشطتها خاصة منها الثقافية كتنظيم المحاضرات[2].

وكان هدفها هو نشر أفكار عصرية من أجل تغيير عقلية الشعب التونسي،وتحقيق نهضة أدبية وفكرية، والالتحاق بركب المعاصرة. وقد ذكر د.عبد المجيد كريم في هذا الصدد أن علي باش حانبة صرح قائلا: "لبلوغ ذلك علينا أن نجتهد للحفاظ على هذا الفكر التجديدي الذي كان المعهد الصادقي مهدا له، وتنميته لدى رفاقنا ثم نشره بين عامة الشعب"[3]، ومن أجل تحقيق ذلك قامت بإحداث مكتبة، وتنظيم محاضرات موجهة لقدماء الصادقية وآخرى عمومية موجهة لعامة الشعب[4]، حيث قدمت ما بين أفريل 1906 وأفريل 1907 84 محاضرة 27 منها بمقر الجمعية و 57 محاضرة في مختلف أحياء العاصمة، وقد تطرقت فيها إلى مواضيع متنوعة منها: التاريخ الاسلامي والتأمين التعاوني ووضعية الفلاحة ... وغيرها في تونس.[5]

وفي حدود إطلاعنا نرى بأن الأفكار التي كانت الجمعية الصادقية تسعى إلى نشرها تتدرج ضمن نطاق التيار الاصلاحي الذي عرفته تونس قبيل انتصاب الحماية في عهد خير

---

[1]- عبد المجيد كريم وآخرون، مرجع سابق، ص 29.

[2]- خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 66.

[3]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 29.

[4]- علي المحجوبي، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، مرجع سابق، ص 132.

[5]- عبد المجيد كريم وآخرون، مرجع سابق، ص 29.

الدين التونسي[1]، على عكس ماكان يعتقد الكثير بأن مرجعيتها تعود للحركة الاصلاحية التي قام بها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.[2]

تجدر بنا الإشارة أن المدرسة الصادقية تميزت عن الخلدونية بتفتحها أكثر عن الحضارة الغربية، حيث أفسحت المجال إلى كتاب فرنسيين مثل: جول بوا (JULESBOIS) وبول بوازون (PUAL BARZON) وشارل جينور (GéNIAUX CHARLES) وقاسطون فالران (GASTON VALIRAN)، وفيهم من كان متعاطفا مع القضية التونسية.[3]

ومهما يكن من أمر فإن الجمعية الخلدونية والمدرسة الصادقية كانتا ترميان إلى غاية مشتركة وهدف واحد، فكل منهما تنشر أفكار اصلاحية من أجل تحديث البلاد وايقاظ الفكر في أواسط التونسيين.[4] بالاضافة إلى أن برامج عمل الجمعيتين كانتا متكاملة فيما بينها، ويتضح ذلك التكامل أو التشابه في الندوات التي كانت تعقد والتي تناولت موضوعات واحدة مثل الصحة، القانون العقاري والاقتصاد الزراعي وغيرها من الموضوعات.[5]

المطلب الرابع : إلقاء الدروس والمداخلات

أمام نمو الإستعمار وتفاقم التناقضات الناجمة عن نظام الحماية وتدهور حالة الأهالي، دفع بالشباب التونسي إلى القيام بنشاط سياسي إلى جانب النشاط الثقافي الذي كان قائما،

---

[1] – بعد تولي خير الدين التونسي رئاسة الحكومة سنة 1869 بدأ في الاسراع في تطبيق البرامج الاصلاحية، التي كان لها أثر في تكوين النهضة التونسية قبل الاحتلال وبعده المتمثلة في (انشاء المدرسة الصادقية، تنظيم التعليم في جامع الزيتونة وانشاء المكتبة العمومية"المكتبة العبدلية "، تشجيع الطباعة والصحافة)، وبنجاح خير الدين في تحقيق مبادئه الاصلاحية أصبح الشباب التونسي على اختلاف منهجه الثقافي متأثرا بهذه المبادئ (انظر: الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 22-23)

[2]– علي المحجوبي ،**الحركة الوطنية التونسية بين الحربين** ، مرجع سابق ، ص 27 .

[3]– منجي الزيدي ، مرجع سابق ، ص 20.

[4]– علي المحجوبي ، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين** ،مرجع سابق، ص 27.

[5]– نور الدين سريب ، **ممارسات ثقافية وجمعنة سياسية (المثال التونسي)**،مجلة إنسانيات ،منشور إلكتروني ، سنة 2012، ص 06.

وذلك من أجل الدفاع بصفة صريحة عن مصالح السكان التونسيين، ولفت نظر السلطات الفرنسية والرأي العام في فرنسا إلى خطورة وضعهم.[1]

أ- خطاب البشير صفر:

وقد وردت هذه الخطة الجديدة في الخطاب الذي ألقاه البشير صفر[2] يوم 24 مارس 1906، بمناسبة تدشين مأوى المسلمين المعوزين (دار التكية)، بحضور المقيم العام ستيفان بيشون "STEPHEN PICHON" وذلك بصفته رئيس جمعية الأحباس.[3]

وقد عبر البشير صفر في هذا الخطاب عن مشاغل التونسيين وسوء حالهم وطالب بلغة ديبلوماسية بإصلاحات نافعة .[4]

تتضمن اعتناءا جديا بالنظر إلى الوسائل التي تحفظ التونسي من الوقوع في مهواة الفقر، وذلك بفتح أبواب التعلم الصناعي والتجاري والزراعي أمام الأهالي، وحماية الصناعة المحلية برفع الرسوم الجمركية، وابقاء الأراضي في أيدي أصحابها.[5]

وقد أثار خطاب البشير صفر[6]حفيظة بعض المعمرين الذين إعتبروه خطرا على الوجود الفرنسي بتونس ، وأعابوا على سياسة المقيم العام المتسامحة ، وحملوه مسؤولية ما حصل في البلاد، فطالبوا حكومة الحماية بضرورة القضاء على هذه الحركة المطلبية وهي في

---

[1]- علي المحجوبي،**جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، مرجع سابق ، ص 134،135.

[2]- البشير صفر(1865-1917 م) : هومحمد البشير صفر ، رئيس جامعة الحاضرة ،ولد بالمهدية 1863، درس بجامع الزيتونة ثم المدرسة الصادقية ، إنتقل لفرنسا ضمن بعثة علمية لمواصلة دراسته في الهندسة والرياضيات غير أنه انقطع بعد فرض نظام الحماية على تونس ، كان له دور في تأسيس جريدة الحاضرة ، والجمعية الخلدونية التي تولى رئاستها ، كما تولى مسؤولية أموال الأوقاف وسميت بجمعية الأوقاف في جويلية 1907 إلى غاية شهر جوان 1908.(انظر : الصادق زمرلي ، مرجع سابق ، ص ص 121، 124).

[3]- علي المحجوبي،**الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، مرجع سابق، ص 28 .

[4]- منجي الزيدي ، مرجع سابق، ص 20.

[5]- نور الدين الدقي، مرجع سابق، ص 46.

[6]- وللمزيد من التفاصيل انظر الملحق رقم 03، ص 70.

المهد،[1] كما تهجمت عليه بعض صحف الجالية الفرنسية بتونس التي كانت في معظمها يمنية التوجه وعنصرية مثل: تونس الفرنسية .[2]

ومن جهة اخرى لقي هذا الخطاب استحسانا من قبل الرأي العام التونسي، كما لقي تجاوبا كبيرا خارج البلاد التونسية من قبل أصوات تحررية وتقدمية في باريس، وكذلك على أعمدة الصحف مثل: جريدة " لوطون" le temps. [3]

ب-مشاركة التونسيين في مؤتمر مرسيليا الاستعماري

لقد كان الخطاب الذي ألقاه البشير صفر بمناسبة تدشين مأوى العجزة في 24 مارس 1906 أصداء في الأوساط التحررية الفرنسية ونخبها التي قررت دعوة محمد الأصرم وحسونة العياشي لحضور مؤتمر مرسيليا الاستعماري .[4]

انعقد هذا المؤتمر من 05 إلى 09 سبتمبر 1906، بمناسبة المعرض الاستعماري الدولي نظمته جمعية الاتحاد الاستعماري الفرنسي التي حرصت من خلاله على التعرف على أهم القضايا المطروحة في المستعمرات الفرنسية.[5]

شارك محمد الأصرم في هذا المؤتمر على إعتبار أن الاحتلال الأجنبي ليس مشروعا ما لم يحقق للأهالي (الرفاهية، العدالة، الحرية)، وقدم 14 مداخلة إقترح فيها وبأسلوب مهذب الوسائل الكفيلة بالنهوض بالفلاحة وتربية الماشية والتجارة والصناعات اليدوية وكذلك مشاريع الحيطة والقروض ومساعدة الأهالي .[6]

---

[1]- خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 67- 68 .

[2]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 32.

[3]- خليفة الشاطر و آخرون ، مرجع سابق ، ص 68.

[4]- منجي الزيدي، مرجع سابق ، ص 20

[5]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق، ص 69.

[6]- علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، مرجع سابق ، ص 137 .

كما أثار كذلك مسألة المساواة بين الحامي والمحمي، حيث طالب سلطات الحماية بتشريك التونسيين في إدارة شؤون بلادهم.[1] وضمان تمثيل التونسيين بالندوة الشورية (conference consulative) التي بقيت مغلقة في وجه الأهالي.[2]

وكذلك القضاء على كل الظلم المسلط على الأهالي وعلى الامتيازات الممنوحة للجاليات الأوروبية، وتشجيع التعليم الاسلامي لتوفير أكثر مايمكن من الضمانات للمتقاضين، ووقاية أملاك الأحباس من كل ضروب الاتلاف.[3]

ومن خلال دراستنا نستخلص أن ماقامت به النخبة التونسية من عمل صحفي بإصدار جريدتي الزهرة والحاضرة ، وعمل جمعياتي بتأسيس الجمعية الخلدونية وجمعية قدماء تلاميذ المعهد الصادقي ، فتح الأبواب أمام انبعاث نشاط سياسي كانت انطلاقته سنة 1907 على يد نخبة مثقفة من الشبان التونسيين، أطلق عليها تسمية حزب تونس الفتاة.

[1]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 69 .

[2]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 32.

[3]– علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904–1934)**، مرجع سابق ، ص 138.

المبحث الثاني : ميلاد حركة تونس الفتاة.

المطلب الأول : ميلاد الحركة وبرنامجها.

تعتبر حركة تونس الفتاة أول مجموعة سياسية وطنية تتكون على أساس برنامج سياسي ذي أبعاد مطلبية[1] التي أسندت قيادتها إلى علي باش حانبة [2] والشيخ عبد العزيز الثعالبي[3] ومحمد باش حانبة [4]، وقد عرفت بعدة أسماء: "الحزب التقدمي" و"الشباب التونسي".

تأثرت هذه الحركة في نظامها وأهدافها بحركة تركيا الفتاة الذي كان وراء العديد من المتغيرات التي حصلت في تركيا في بداية القرن العشرين[5]، أما فيما يخص تاريخ ميلاد "حركة تونس الفتاة" لايمكن تحديده حسب ما ذكره د.عبد المجيد وآخرون في هذا الصدد:" فهي لم تتحصل على ترخيص ولم تطلبه ،كما أنها لم تعلن عن نشأتها إنما دخلت في سجال

---

[1]– نور الدين الدقي، مرجع سابق، ص 09.

[2]– علي باش حانبة بن مصطفى بن علي الشريف : يعود إلى أصل تركي ، ولد بتونس العاصمة عام 1876م ، درس بجامع الزيتونة ودرس الحقوق بباريس ورجع إلى تونس فعمل محاميا ، أسس جريدة التونسي و حركة الشباب التونسي، ونظرا لنشاطه السياسي الواسع نفته فرنسا فاستقر بتركيا إلى غاية وفاته 1918م . (انظر :محمود شاكر ، **التاريخ الاسلاميات التاريخ المعاصر بلاد المغرب** ،ج14، ط2، المكتب الإسلامي ، بيروت ،1996 ، ص130).

[3]– عبد العزيز الثعالبي : هو مفكر و سياسي تونسي من أصل جزائري ، ولد عام 1291هـ ، أصدر جريدة "سبيل الرشاد " وانتسب إلى حزب تونس الفتاة في عام 1909م ، كتب في صحيفة التونسي مدافعا عن مصالح التونسيين وحقوقهم ، ناظل ضد الاستعمار الفرنسي متأثرا بأفكار رواد الاصلاح الفكري الاسلامي من أمثال محمد عبده ، نشر عام 1920 كتابه الشهير " تونس الشهيدة " وفيه يدين بالحماية الفرنسية على تونس ، توفي عام 1363هـ .انظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، **الموسوعة السياسية** ،ج3، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت ، ص 837.

[4]– محمد باش حانبة : هو شقيق علي باش حانبة ، ولد بتونس في جوان 1881، زاول تعليمه بالمدرسة الصادقية ، خضع على شهادة ختم الدروس ، إشتغل مترجما لدي المصالح العدلية ، وانتسب إلى كلية الحقوق بباريس ،في أوت 1913 التحق بأخيه في اسطنبول ، المصادر الفرنسية الاستخبارية تقول بأنه كان على صلة بمناضلي حركة الشباب التونسي و أنه كان يتعامل مع دعاة الجامعة الاسلامية القادمين من اسطنبول ،توفي ببرلين في ديسمبر 1920.(انظر: نور الدين الدقي ، مرجع سابق، ص 251).

[5]– يحي أبو زكريا، **الحركة الاسلامية في تونس من الثعالبي و إلى الغنوشي** ، منشور إلكتروني في موقع www.naschiri.net، في جوان 2003، ص 19.

مع معارضيها من غلاة المعمرين أقرت خلالها وجودها كتيار سياسي يدافع عن التونسيين ويبسط مطالبهم".[1]

وأول عمل قامت به هذه الحركة، هو إنشاء صحيفة أسبوعية ناطقة باللغة الفرنسية تحت عنوان التونسي[2]– le tunisien – 07 فيفري 1907، بعدما أسندت ادارتها إلى علي باش حانبة وشارك في تحريرها نخبة من المفكرين أمثال : عبد الجليل الزاوش،حسن قلاتي[3]ومحمد نعمان[4].... وغيرهم ، ثم انظم إليها الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي اعتنى بالنشرة العربية، التي كان هدفها الدفاع عن مصالح الشعب التونسي.[5]

وفي هذا الإيطار أصدرت حركة تونس الفتاة برنامجها في افتتاحية العدد الأول من جريدة " التونسي"، الذي صرحت فيه بأنها ستتكفل بالتعريف بأفكارها وحسن نواياها، وعاهدت نفسها أن تقاوم بأصدق لهجة كل مظلمة واعتداء على الأهالي.[6]

كما طرحوا جملة من المطالب ذات صبغة اقتصادية واجتماعية وسياسية :

فعلى الصعيد الاجتماعي، كانت في مقدمتهم مطالبهم مسألة التعليم العام، حيث طالبوا بإصلاح التعليم بكيفية تناسب حالة الشعب، وجعل التعليم الابتدائي مجانيا اجباريا في جميع

---

[1]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 31.

[2]– جريدة التونسي : صدر عددها الأول يوم 7 فيفري 1907 باللغة الفرنسية ، أصدرها عبد الجليل الزاوش وحوالي عشرة من شبان تونسيون من أصدقائه ، هي تعد أول صحيفة ناطقة باللغة الفرنسية يصدرها الأهالي بتونس تصدر أسبوعيا أشرف على إدارتها السياسية علي باش حانبة .(انظر: محمد بوذينة ، مرجع سابق ، ص 186، للمزيد من التفاصيل انظر الملحق رقم 04 ص 71).

[3]– حسن قلاتي : 1880–1966: جزائري الأصل ، ولد في أبوغار ب قصر البخاري ، هاجر مع أبيه إلى تونس بعد دخول الفرنسيين إليها ، هو من رموز الحركة الوطنية في عهدها الأول وكان من الملتفين حول جريدة التونسي .(انظر: عبد العزيز الثعالبي ، **من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب** ، ط1، تق و تع: صالح الخرفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، 1995، ص 172).

[4]– محمد نعمان : 1875–1962: تونسي الأصل ، درس في العلوية وأشتهر في المحاماة من أبرز وجوه حركة الشباب التونسي، ويعتبر من الأقلام المحررة في جريدة التونسي .(انظر: عبد العزيزي الثعالبي ، **من اثاره اخباره في المشرق والمغرب**،مرجع سابق، ص 173).

[5]– أحمد القصاب، مرجع سابق ، ص 493.

[6]– نور الدين الدقي، مرجع سابق ، ص 51.

أنحاء الايالة، وطالبت أيضا باحترام الأوقاف العام والخاص، وحذف المجبى وسن أداء عقاري يوظف على المداخيل وتأسيس نظام الاسعاف العمومي والطبي وتحسين حالة الفلاحين وتمكينهم من إقتناء الأراضي المعدة للاستعمار، ومساهمة اليد العاملة التونسية في الأشغال العامة.[1]

ومن الناحية الاقتصادية وقع التأكيد على تعصير الفلاحة والصناعات المحلية ، والمطالبة من أجل ذلك بتأسيس صناديق احتياطية، وتوفير القروض وتنظيم تعليم مهني وفلاحي، وكذلك بإصلاح جبائي لمجابهة المنافسة الأجنبية.[2]

أما سياسيا فقد طالب حركة تونس الفتاة سلطات الحماية بتشريك الأهالي في المجلس الاستشاري وإحداث تمثيل فلاحي وتجاري لهم ، كما أكدت على وجوب الفصل بين السلطتين الادارية والقضائية وإحداث نظام قضائي مستقل عن الكاتب العام.[3]

كما طرحت هذه الحركة شعار " الأمة التونسية " وتعهدت ببذل الجهود لكي تنال هذه الأمة كيان الدولة المستقلة .

والجدير بالملاحظة أن كل القضايا التي طرحتها حركة تونس الفتاة تندرج في إطار التناقضات وسياسة التمييز والمظالم الناجمة عن نظام الحماية .[4]

كما علينا التنويه أن المطالب التي تقدم بها هذه الحركة، والتي إتسمت بطابعها الاصلاحي لم توضع الحماية محل تساؤل ولم تطالب بالاستقلال، وعلى أنهم رغم ذلك لم يكونوا يناهضون نظام الحماية، وكانوا يرون فيها حتمية تاريخية بل وعامل تقدم ولكنهم ينددون بتعدياته الصارخة وينتظرون من سلطات الحماية اصلاحات حازمة خاصة في مجال.

---

[1]– علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904–1934)**، مرجع سابق ، ص 139.

[2]– علي المحجوبي ، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، مرجع سابق، ص 31.

[3]– نور الدين الدقي ، مرجع سابق ، ص 52.

[4]– علي المحجوبي ، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، مرجع سابق ، ص 33.

التعليم لاصلاح حالة أبنائهم [1]، وكذا وقعت المناداة من قبلهم بضرورة ارساء سياسة "التشريك " association التي من شأنها الغاء الفوارق بين التونسيين وبين الجاليات الأوروبية في تونس.[2]

وقد ردت الأوساط الاستعمارية على برنامج الحركة الذي اعتبرته بداية نهاية الحضور الفرنسي في تونس. وقد طالب زعيم المهيمنين " فيكتور دي كرنيار " بقمع هذه الحركة واجهاض كل مساعيها. [3]

المطلب الثاني : قادة حركة تونس الفتاة و مرجعيتهم الفكرية

لقد اختلفت أصول قادة حركة تونس الفتاة، ففيهم من ينحدر من أصول جزائرية مثل: الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي ولد من أب جزائري[4]، وحسن قلاتي هو الآخر من عائلة جزائرية إستقرت بتونس مع بداية الحماية 1881 .

ومنهم من أصله تونسي (مثل محمد لصرم الذي ولد في أسرة عريقة أصيلة القيروان،ومحمد نعمان وعبد الجليل الزاوش)[5] ومنهم من أصوله تركية أمثال البشير صفر وعلي باش حانبة وخير الله بن مصطفى.[6]

أما بالنسبة للمستوى الثقافي، فهم من النخبة التي تحصلت على مستوى محترم من التعليم العصري ومن الثقافة المتصلة بالحداثة.[7] فقد كان لثقافتهم العالية والمتشابهة دور في

---

[1] – محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تعريب محمد الشاوش، ط3، دار سراس للنشر،تونس، 1993 م، ص 113 – 114.

[2]– عبد المجيد كريم و آخرون ، مرجع سابق ، ص 33.

[3]– نفسه ، ص 33.

[4]– يحي جلال وآخرون، **المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرير والإستقلال** ، د.ط، الدار القومية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ،1966،ص 1071.

[5]– نور الدين الدقي ، مرجع سابق، ص 241.

[6]– عبد المجيد كريم وأخرون ، مرجع سابق، ص 33.

[7]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق، ص 73.

التوحيد بينهم وخلقت بينهم إنسجاما كبيرا ، ومعظمهم درس بالمعاهد العصرية بتونس ثم تحولوا إلى فرنسا لاتمام دراستهم العليا.[1]

وفيما يخص انتمائهم الاجتماعي كان متقاربا فأغلبيتهم يتعاطى مهنا حرة كالمحاماة والصحافة مثل : علي باش حانبة الذي اشتغل في المحاماة وكتب في الصحافة وفي جريدة الحاضرة ، الى جانب الموظفين السامين والتجار والصناعيين والملاكين التونسيين.[2]

وبالرغم من أنهم لم يكونوا من ذوي الحاجة أو من الذين تضرروا من نظام الحماية إلا أن وعيهم السياسي المتأتي من ثقافتهم المتينة ووطنيتهم دفعهم إلى معارضة سياسة الحماية وتجنيد أنفسهم للدفاع عن التونسيين في جميع القضايا المطروحة.[3]

أما من ناحية المرجعية الفكرية، فقد كانوا متأثرين بالفكر الاصلاحي الذي نادى به خير الدين التونسي في النصف الثاني من القرن تاسع عشر المعتمد على التوفيق بين مكتسبات الغرب وقيم الحضارة العربية الإسلامية .[4]

كما تأثروا بالفكر الإصلاحي المشرقي الذي حمل لواءه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[5]، وعلينا الإشارة إلى إتجاه آخر أثر في مرجعية الشباب التونسي، وهي حركة الشباب العثماني أو مايسمى بجماعة تركيا الفتاة التي كانت تدعوا إلى فكرة الرابطة الاسلامية .[6] بالإضافة إلى تيار الجامعة الاسلامية [7] الذي كان هدفها الأساسي هو جمع المسلمين في جبهة واحدة

---

[1]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 33.

[2]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق، ص 73.

[3]– عبد المجيد كريم وأخرون ، مرجع سابق، ص 34.

[4]– نفسه، ص 34.

[5]– منتدى سور الأزبكية (**إتحاد المغرب العربي الوحدة التاريخية والجغرافية**) ، مركز زيد للتنسيق والمتابعة ،يونيو 2001،ص 66.

[6]– الحبيب ثامر ، مصدر سابق ، ص 84.

[7]– الجامعة الإسلامية : نشأ وتبلور تيار الجامعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن تاسع عشر ميلادي / ثالث عشر هجري ، الذي تبنى فكرة الجامعة هو السلطان عبد الحميد الثاني وثلة من المفكرين والمصلحين الذين كانوا يسعون إلى الوحدة العامة بين الأقطار الإسلامية للتصدي لاستعمار الغربي .(انظر : عبد العزيز سليمان فواز ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، د.ط،دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت.ن، ص 215).

لمواجهة الاستعمار[1]، ومحاولة ايقاف الدول الاستعمارية وأعداء الاسلام عند حدها، وإثبات لهم أن المسلمين يمكن أن يكونو قوة سياسية عالمية يحسب لها حسابها في مواجهة الغزو الثقافي والفكري .[2]

المطلب الثالث : تنظيم الحركة

لقد أطلق البعض على حركة الشباب التونسي تسمية " حزب "، رغم أنها لم تستوفي شروط المطلوبة لتكوين الأحزاب، وذلك لأنه لم يكن لها مقر رسمي وبطاقات إنخراط ولا قيادة منتخبة، كما أنه لا توجد خلايا لهذه الحركة في العاصمة أو داخل البلاد.[3]

وقد فسر مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم الدكتور عبد المجيد كريم، ذلك بعنصرين:

– أنه في ذلك الوقت لم يكن في تونس أحزاب بأتم معنى الكلمة ، بل كان هناك تكتلات وتيارات سياسية مختلفة مثل المؤتمر الرديكالي، والتكتل الاشتراكي، وكانت لهذه الاتجاهات صحف تمثلها، فنسجت حركة الشباب التونسي على نفس المنوال.

– كما أن حركة الشباب التونسي لم تتقدم بطلب تأسيس حزب لأنها كانت متأكدة من الادارة الفرنسية سترفض الطلب.[4]

أما عن مقر إجتماع قادة حزب تونس الفتاة، فكانوا يجتمعون بمقر جريدة(tunisien le) التونسي أو 6 نهج الكوميسيون أو بالمنتدى التونسي[5] الذي أسسوه سنة 1905 والكائن ب

---

[1]– أنور الجندي ، **الموسوعة الاسلامية العربية العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي** ،ج4،ط1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1983م، ص 175

[2]– علي محمد الصلابي ، **السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية** ، د.ط، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت.ن، ص 31.

[3]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق، ص 74.

[4]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 35.

[5]– المنتدى التونسي : هو نادي ثقافي أنشأ في بداية القرن العشرين ، كان يترأسه عبد الجليل الزاوش، بمساعدة علي باش حانبة وحسن القلاتي .(انظر: خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 74).

16 نهج فرنسا ، كما كانت اجتماعات هذا الحزب تقع ببعض الصالونات والمقاهي أو في دككاكين الحلاقين، مثل مقهى فرنسا بالمدينة الأوروبية.[1]

في حين كانت تتم لقاءاتهم الصيفية في المنازل الخاصة لبعض أعضاء الحركة، بضاحية المرسى أو بسيدي بوسعيد .[2]

وفيما يتعلق بقادتها كانوا بعض العشرات لا أكثر، لكن كان للحزب متعاطفون عديدون خاصة ضمن الفئات التي تحسن اللغة الفرنسية، وهي الشرائح الميسورة عامة .[3]

وقد ازداد عددهم منذ بداية نشوء الحزب سنة 1907، وذلك بتزايد عدد قراء جريدة التونسي "le tunisien" خاصة بعد صدور جريدة التونسي باللغة العربية سنة 1909، مما جعل شعبية الحركة تتدعم في صفوف الزيتونيون، الذين كانوا يمثلون أغلبية المتعلمين بالبلاد التونسية .[4]

وقد بلغ عدد الأنصار المنتمين لحركة تونس الفتاة ما بين 2000 و3000 شخص، كما كان للحزب أنصار بفرنسا خاصة في الأوساط الجامعية والبرلمانية والسياسية عامة.[5]

---

[1]– خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق ، ص 74 .

[2]– عبد المجيد كريم وآخرون، مرجع سابق، ص34.

[3]– نور الدين الدقي، مرجع سابق، ص 50.

[4]– نفسه ، ص51.

[5]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 36.

الفصل الثالث

نشاط حركة تونس الفتاة 1907-1912

إن نشاط حركة تونس الفتاة بالرغم من تناميه مع مرور الوقت ، بقي سلميا مطلبيا يطغى عليه الاعتدال ، يرتكز على أساس اسلامي له علاقة بالرابطة العثمانية التي دفعت بالحركة في أواخر عهدها بالعودة إلى جذورها الشعبية ، وأيد أصحابها التحركات الجماهيرية كرد فعل عنيف ومقاوم ضد تجاوزات الاستعمار.

المبحث الأول: النشاط المطلبي للحركة

المطلب الأول: المشاركة في مؤتمر شمال إفريقيا الاستعماري

انعقد مؤتمر شمال افريقيا الاستعماري بباريس من 06 إلى 10 أكتوبر 1908 ، دعي إليه 07 تونسيون ينتمون في معظمهم لحركة تونس الفتاة ،[1] على رأسهم زعيم الحركة الإصلاحية البشير صفر ومساعده خير الله بن مصطفى وعبد الجليل الزاوش ، الصادق الزمرلي[2]، وعين لرئاسة هذا المؤتمر جونار الحاكم العام بالجزائر.[3]

حرص المنظمون لهذا المؤتمر على تفادي العموميات وحصر الاهتمام في المسائل التي تتعلق بمستعمرات شمال افريقيا.[4]

ونلاحظ أن الشبان التونسيون اغتنموا فرصة هذا المؤتمر للدفاع عن ركائز الهوية التونسية وعن مصالح الشعب التونسي والمطالبة بكل الضمانات القانونية لحمايته من التعسف وجميع التجاوزات التي تتسم بها السياسة الاستعمارية بالبلاد التونسية .[5]

---

[1]- عبد المجيد كريم و آخرون ، مرجع سابق ، ص 37 .

[2]- صادق الزمرلي (1885-1983) : هو أصغر أعضاء حركة تونس الفتاة ، انتسب إلى المدرسة الصادقية لكنه لم يتم دراسته بها إشتغل سكرتير في مكتب حسن قلاتي كان من ضمن الوفد التونسي المشارك في مؤتمر شمال افريقيا بباريس 1908 ساهم في تحرير صحيفتي "التونسي" و " الاتحاد الاسلامي " ، كما شارك في تأطير اضراب طلبة الزيتونة سنة 1910 وحرض على مقاطعة ترامواي وتم اعتقاله في 13 مارس 1912 بعد تنظيمه لمظاهرة احتجاجية في تونس . (انظر : نور الدين الدقي ، مرجع سابق ، ص 249).

[3]- الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 40.

[4]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 72.

[5]- علي المحجوبي ، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**، مرجع سابق ، ص 30.

قدم النواب التونسيون في هذا المؤتمر تقارير، تناولت معظم المسائل المطروحة على الساحة العامة حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وتهميش دورهم السياسي.[1]

فمحمد خوجة[2] دافع عن القضاء التونسي مع المناداة بإصلاحه .[3] كما طرحت مسألة إصلاح التعليم من جديد، فقد حظيت مسألة تعليم البنت عناية وإهتمام الصادق الزميرلي، حيث جعل منها محور مطالبه ، وبين أن الإسلام يشجع على تعليم البنت ، كما اعتبر أن فتح أول مدرسة عصرية للبنات سنة 1900، لم يعط النتائج المرجوة ، وذلك لهيمنة اللغة الفرنسية على اللغة العربية، فطالب بتعليم المرأة التونسية باللغة العربية واقترح دعوة معلمات سوريات لتدريسهن.[4]

أماخير الله بن مصطفى[5] فقد دافع عن الكتتاتيب[6]حيث حلل أسباب تدهورها وطالب بإبقائها مع تطويرها لتشبه المدارس العربية.[7] لكن مسألة إصلاحها سبب جدلا واسعا حيث قوبل بالرفض من طرف علي باش حانبة الذي أوصى أعمدة الصحف بالمطالبة بإزالة الكتاتيب نهائيا، وذلك لأنها تعتمد على الحفظ والتلقين، وتعويضها بمدارس عصرية فرنسية

---

[1]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 72.

[2]- محمد خوجة : ولد سنة 1869، زاول دراسته بالمدرسة الصادقية، تقلد عدة وظائف من قيم الترجمة إلى قم المحاسبة يعود له الفضل في تأليف الفهرس العلمي لمكتبة جامع الزيتونة الأعظم، كما ساهم في تحرير جريدة الحاضرة بمعية علي بوشوشة،م من مؤلفاته :"الرحلة الفلبارية" و"الرحلة الناصرية "، شارك في مؤتمر شمال افريقيا سنة 1908 بعدة بحوث حول القضاء وفي الاسلام ونظام التعليم بجامع الزيتونة.(انظر: الصادق الزمرلي،مرجع سابق، ص ص 227-228-230).

[3]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 37.

[4]- نور الدين الدقي ، مرجع سابق ، ص 140.

[5]- خير الله بن مصطفى : ولد بتونس 23 ديسمبر 1867، كان ضمن أول وفد مدرسي التحق بالمدرسة الصادقية، تولى بعد تخرجه مهمة التدريس بالمدرسة العلوية، تميز باهتماماته العلمية المتعددة،فألف كتاب في مناهج التدريس، ساهم في إنشاء المدرسة الصادقية.(انظر: نور الدين الدقي، مرجع سابق، ص245).

[6]- الكتاتيب : هو نمط من التعليم قديم العهد ، يتولى التدريس فيها معلمة تسمى "خجا"، حجرة الدراسة عبارة عن غرفة يجلس فيها الأطفال على متاع بسيط من الصباح حتى المساء ، أما مواد التدريس فيها فكانت تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن والحساب .(انظر : عبد العزيز محمد عوض ، **الإدارة العثمانية في ولاية سوريا (1864 -1914)**، تق: أحمد عزت، د.ط، دار المعارف بمصر ،1969 ، ص 253) .

[7]- الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 40.

عربية (فرنكو عربية) تدرس فيها اللغة العربية حسب منهج أيسر مما عليه بالمدارس القرآنية . [1] إلا أن رفض موقف علي باشحانبة من طرف الزيتونيون لتخوفهم من أن تصبح تلك المدارس مركزا لدعاية الغرب.[2]

وأيضا تم التطرق لموضوع جديد يتعلق بسوء حال الخماسة ، ووضع الفلاحين وأرباب الصناعات اليدوية وصيادي السمك والعمال التونسيون ، حيث دعا عبد الجليل الزاوش لإرساء قوانين لحمايتهم .[3]

المطلب الثاني : موقف اليهود من القضاء ورد فعل الشبان التونسيون

لقد خاضت حركة تونس الفتاة معركة أخرى بسبب محاولة اليهود الخروج عن القضاء التونسي ، حيث طالبوا بنفس الحقوق التي حصل عليها اخوانهم بالجزائرمن خلال قانون كريميو الذي منح يهود الجزائر حق المواطنة الفرنسية، هذا مادفع بيهود تونس لشن حملة شعواء على السلطات القضائية التونسية .[4]

اذ تقدم اليهود التونسيين الذين يعدون 67.000 نسمة تقريبا جزءا لايتجزأ من سكان البلاد .[5] بطلب يهدف للخروج عن القضاء التونسي، نظرا لنقائصه العديدة والدخول تحت طائلة القضاء الفرنسي إعتبارا لما يوفره من ضمانات .[6]

ويرجع خليفة الشاطر وثلة من الباحثين مآخذ اليهود عن القضاء إلى مايلي :

- عدم استقلاليته عن سلطة الباي وأعوانه أي (عن السلطة التنفيذية) .
- الإعتماد في تطبيقه على الشريعة الإسلامية بينما اليهود على دين آخر.

---

[1]- نور الدين الدقي ، مرجع سابق ، ص 92.

[2]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 73 .

[3]- علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، ص138.

[4]- الطاهر عبد الله ، مرجع سابق، ص 42.

[5]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 37.

[6]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 74 .

كما يعتبر اليهود أن القضاة التونسين غير أكفاء ومرتشون يعتمدون على الإجتهاد في غياب قوانين منسوخة مما يفتح باب التجاوزات والظلم .[1]

وعلى هذا الأساس عقد اليهود التونسيون في بداية أكتوبر 1919 إجتماعا عاما بمركض الخيل بشارع قرطاج بتونس ، نادوا فيه بالانسلاخ عن القضاء التونسي ،[2] كما قاموا أيضا بحملة إعلامية على أعمدة الصحف الأجنبية والتونسية، منها صحيفة "la justice" (العدل) ، وداخل الجمعية الشورية بواسطة ممثلهم إيلي فيتوسي "elie fitousi" كخطوة تمهيدية للانفصال عن جنسيتهم التونسية ،وكسب الجنسية الفرنسية بصفة جماعية والتمتع بالامتيازات المنجرة عن ذلك.[3]

وقفت الصحافة الاستعمارية الفرنسية في تونس إلى جانب اليهود، ويتضح أن القصد من هذه الحركة هو العمل على تقوية الجالية الفرنسية التي كانت قليلة العدد مقارنة بالجالية الإيطالية، وإضعاف أهل البلاد ومزاحمتهم في لقمة عيشهم . [4]

وفي المقابل كون التونسيون لجنة وطنية للاعتراض على تحرك اليهود، والإحتجاج على محاولة تجنيس اليهود التونسيين بالجنسية الفرنسية ، والمطالبة بإصلاح النظام القضائي بالنسبة للجميع ، ترأسها " أحمد الصافي "[5] الذي دعى لاجتماع عام انعقد بقاعة البالماريوم 10 ديسمبر 1909 ، فكان أول مؤتمر شعبي وأول مجمع سياسي للخطابة ، وقد ساندته " جماعة الشباب التونسي " عن طريق تصريحاتهم وعلى أعمدة الصحف ، فدعمه

---

[1]– خليفة الشاطر وآخرون،مرجع سابق ، ص 74 .

[2]– عبد المجيد كريم وأخرون ، مرجع سابق ، ص 37.

[3]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 75 .

[4]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 42.

[5]– أحمد الصافي : من مواليد 1890 ، ينتمي إلى عائلة تونسية إشتهرت بالقضاء ، انظم إلى حركة تونس الفتاة وهو لايزال طالبا ، انتخب أمينا عاما لحزب الدستوري التونسي.(انظر : يوسف مناصرية، مرجع سابق ، ص 65).

علي باش حانبة بمقالاته وعبد الجليل الزاوش[1] بخطاب في الندوة الشورية ، فأجبر ذلك الحكومة على عدم الإستجابة لطلب اليهود . [2]

كما دعت حركة المقاومة الشعب التونسي لمقاطعة اليهود اقصاديا وأدبيا ، وقد استطاع الشعب التونسي بعد مقاطعته للاقتصاد اليهودي أن يتحفز وينشط اقتصاديا وتجاريا، مما أدى إلى احتلال مراكز الصدارة في الحركة الاقتصادية للبلاد بعدما كانت محتكرة لدى اليهود ، بذلك كسبت الحركة الوطنية المعركة ضد اليهود .[3]

المطلب الثالث : مساندة إضراب طلبة الزيتونة

لقد انطلقت أحداث طلبة الزيتونة في 16 أفريل 1910 ، عندما قدم طلبة هذه الكلية الاسلامية عريضة إلى الوزير الأول تتضمن مجموعة من المطالب، تتعلق بإصلاح تعليمهم من حيث تنظيم الدراسة وطرق التدريس وفقا للطرق العصرية التي يجرى به العمل في كافة فروع التعليم، وبالإضافة إلى تحسين ظروف عيشهم وسكنهم وإعفائهم من ضريبة المجبي[4] والخدمة العسكرية.[5]

كما طالبوا بإعادة النظر في محتوى البرامج وذلك بتجديدها ،واقترحوا تعيين مدرسين يقومون بتدريس علمي تقويم البلدان والتاريخ .

وفي سبيل هذا قرر طلبة الزيتونة الدخول في إضراب عن الدراسة حتى تجيبهم الحكومة إلى مطالبهم ، كان عددهم يتجاوز السبعمائة ، [6]وقاموا بإحداث مظاهرات عامة

---

[1]- عبد الجليل الزاوش (1873-1947) : هو من عائلة برجوازية تعيش بعاصمة تونس،تلقى ثقافة كلاسيكية في مدرسة القديس شارل ،زاول تعليمه في باريس حيث نال شهادة في الحقوق ساهم في اصدار جريدة التونسي ونشر بها فصولا قيمة وتولى رئاسة الخلدونية سنة 1911.(انظر: نور الدين الدقي ، مرجع سابق ، ص243).

[2]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 37.

[3]- الطاهر عبدالله ، مرجع سابق ، ص 42.

[4]- المجبي : هي ضريبة شخصية أقرها محمد باي سنة 1856 ، يدفعها كل تونسي بالغ . (انظر : علي المحجوبي ، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين** ، ص 22).

[5]- خليفة الشاطر آخرون ، مرجع سابق ، ص 75.

[6]- الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 72.

سلمية كانت عنوان للتربية الفاضلة الإسلامية، وتجمعات في الشوارع ومسيرات في القصبة وأمام قصر الحكومة (دار الباي)، وقد قامت الشرطة بإلقاء القبض على إثنين منهم وإعتقلتهما.[1]

نظم هؤولاء الطلبة بصحن الجامع الأعظم يوم 18 أفريل 1910 على إثر صلاة الجمعة مجمع خطابي للتعبير عن إنتقادهم للنظام التعليمي الزيتوني ، حضره بعض أفراد حركة تونس الفتاة من بينهم: الصادق زمرلي وعبد العزيز الثعالبي وخطب فيه علي باش حانبة الذي أثنى على تحرك الطلبة واستحسن إجتماعهم لما فيه من فوائد وماله من تأثير عظيم في نهوض الأمم ورقي الشعوب ، وتفاخر بأنه زيتوني مثلهم، لأنه سبق له أن تابع دروسه بصفة حرة لمدة عامين في الكلية الزيتونية ، وأكد لهم أن جريدته (التونسي) في خدمتهم وتتبنى مطالبهم وتدافع عنها.[2]

ولقد طلب هؤولاء الطلبة من علي باش حانبة وبعض المقربين من أمثال حسن القلاتي بالتوسط بينهم وبين الإدارة، والتفاوض مع السلطة لتلبية مطالبهم حتى يتم إنهاء الإضراب.[3]

وفعلا نجح علي باش حانبة في النهاية بوساطته بينهم وبين سلطة الإشراف التي قبلت تقديم بعض التنازلات ، مما دفع بالطلبة إلى تعليق الإضراب.[4] وعقدوا تجمعا أمام المدرسة الصادقية ، إحتفالا بالانتصار بعد استجابة الحكومة لجل المطالب الزيتونية، حضره عدد من أعضاء الصادقية ، وخطب فيه زعماء حركة تونس الفتاة المساندين لإصلاح التعليم الزيتوني -عبد الجليل الزاوش والصادق زمرلي عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حانبة- الذين دعوا إلى إلتحام الشبيبتين الزيتونية والصادقية بإعتبارهم " أبناء وطن واحد ولهم أهداف واحدة "[5].

---

[1]- عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة** ، تر وتق : سامي الجندي، ط1، دار القدس ، لبنان ،1975. ، ص 11.

[2]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 38.

[3]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 75-76 .

[4]- عبد العزيز الثعالبي ، **تونس الشهيدة** ، مصدر سابق ، ص 11.

[5]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 38.

المبحث الثاني : التحركات الجماهيرية (التصعيد والمجابهة).

لقد شهدت الساحة التونسية في هذه المرحلة تحولا في التفكير وفي طرق العمل وتصعيدا في مجابهة الاستعمار ، وذلك بسبب بعض القضايا التي أعطت الفرصة للمعارضة التونسية ، ومن ضمن هذه المسائل الغزو الايطالي لليبيا وأحداث الجلاز .

المطلب الأول : الإحتلال الايطالي لليبيا وموقف حركة تونس الفتاة 1911.

في أواخر سبتمبر 1911 ، أعلنت الحكومة الإيطالية عزمها على ضم ولاية طرابلس اللليبية إليها بحجة عجز الادارة العثمانية عن ضمان سلامة جاليتها هناك نظرا للإضطرابات التي هزت الشرق آنذاك ، والتي استفحلت مع وصول حركة الشباب التركي إلى الحكم سنة 1908.[1]

ولما أصدر ملك إيطاليا قراره بضم الولايات العثمانية في 05 نوفمبر 1911 ، هب التونسيون وفي مقدمتهم أعضاء حركة تونس الفتاة للدفاع عن طرابلس ، وإعتبروه تعديا سافرا على السلطة العثمانية، التي أعلنوا مساندتهم لها وتعاطفهم معها نظرا لما يربطهم من خصائص مشتركة على رأسها الدين الإسلامي والمصير المشترك الذي جمعهما في حركة الجامعة الإسلامية المناهضة للتوسع الأوروبي في البلاد الإسلامية. [2]

لقد تجلى ذلك التضامن في الإيالة – آنذاك – على المستوى الإعلامي ، حيث أصدر علي باش حانبة جريدة "الإتحاد الإسلامي"[3] الناطق شبه رسمي لنضال ليبيا[4]، التي صدر عددها الأول يوم 19 أكتوبر 1911، وقد غطت أحداث طرابلس الغرب عبر أعدادها الستة، مما جعل لها رواج في كل بلدان العالم الإسلامي وتأثير على مسلميها، الأمر الذي

---

[1]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 76.

[2]– نفسه ، ص 76.

[3]– جريدة الاتحاد الاسلامي : هي جريدة نصف أسبوعية سياسية اعلامية تأسست سنة 1911، مضمونها وطني اسلامي دافعت عن الراية العثمانية ، يديرها علي باش حانبة بمعية عبد العزيز الثعالبي والبشير الفورتي، صدرت هذه الجريدة على إثر العدوان الايطالي على ايالة طرابلس الغرب لمؤازرة المجاهدين الليبين . (انظر: حبيب حسين اللولب، مرجع سابق،ص 58).

[4]– عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، مصدر سابق ، ص 12.

نتج عنه وصول تهاني فورية لصاحبها من الجزائر ، وطرابلس الغرب ، ومصر وحتى من الهند ... [1] وهذا يدل على الدور الكبير الذي لعبته حركة تونس الفتاة في التعبير عن تضامنها المطلق مع الشعب الليبي المتعرض للغزو الأمر الذي أبرز نجاح الحزب في التعريف بالقضية الليبية في العالم الإسلامي ،والتنديد بالهيمنة الأوروبية.

وقد حذت بقية الصحف التونسية حذو جريدة الاتحاد الاسلامي السابقة الذكر مثل : "مرشد الأمة " و" الصواب " و " الحاضرة" إلخ ... رغم تواطئ سلطة الحماية مع المستوطنين الايطاليين ،ولم يلتزم الفرنسيون بالحياد في هذا النزاع .[2]

علاوة على مشاركة النخبة التونسية بأقلامهافي الذود عن طرابلس الغرب ساهم الشعب التونسي في هذه الحملة بكل ما أوتي من قوة ،إذ زود المقاومة الطرابلسية بالأموال والأسلحة والذخائر والمؤن، ناهيك عن إلتحاق المتطوعين التونسيين بجبهات القتال، ومقاطعة البضائع الايطالية التي أصابها البوار والكساد.[3]

وقد أبلت قبائل الجنوب التونسي البلاء الحسن في مساعدة إخوانهم الليبين خاصة قبائل القاطنة بالجنوب من حوامد ومحاميد والتوازين والمرازيق وهمامة نظرا لما يربطهم من روابط القربى والمصاهرة .[4]

كما عمل قادة حركة تونس الفتاة من باريس ومن تونس على الوصل بين رجال السفارة العثمانية في عاصمة الدولة الفرنسية وبين المجاهدين العرب والأتراك وخاصة في إقليم تونس، وأسهموا بنصيبهم في تسهيل عمليات مرور بعض الضباط الأتراك عن هذا الطريق إلى ميدان القتال.[5]

---

[1]– التليلي العجيلي ، مرجع سابق ، ص 203 ، 204 .

[2]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 39.

[3]- الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 44.

[4]– نفسه ، ص 45.

[5]– يحي جلال وآخرون ، مرجع سابق ، ص 1073.

تقاطرت القوافل المحملة بالمؤن والذخائر تشق الحدود الجنوبية في طريقها إلى طرابلس، بالرغم من الحراسة المشددة من طرف الفرنسيين، الذين كانوا يحاولون منع الإعانات عن المجاهدين الطرابلسيين مساعدة منهم لإيطاليا على إحتلال البلاد ، حيث أشار في هذا الصدد محمد مرزوقي في كتابه معركة الزلاج قائلا : " بأنه شهد هذه المساعدة التونسية الليبية ، وذلك بعد أن حدثهم أحد حراس الحدود الجنوبية التونسية المرحوم محمد بن عبد العظيم(شاوش الصبايحية بالحدود الجنوبية)، الذي أمر من طرف قادة الفرنسيين بوجوب العثور على قافلة محملة بأسلحة في طريقها إلى المجاهدين الطرابلسيين، كان يقودها السيد عبد الله بن عبد العزيز الحمروني وحجزها والقبض على رجالها، ولما لحقوا بها تركوا سبيل القافلة، وإتفق الحراس فيما بينهم بالإدعاء بعدم رؤيتهم لها وعدم إستطاعتهم اللحاق بها.[1]

إن هذه الحادثة تدل على عدم إخلاص الحراس التونسيين لمأموريتهم من القادة الفرنسيين، ومشاركتهم في إجازة قوافل التموين والسلاح للمجاهدين بطرابلس.[2]

ويذكر أحمد توفيق المدني [3] في كتابه حياة كفاح، "إن العالم اندهش لأمور شاهدها ولم يكد يصدقها وهي :

- الضعف الكبير الذي امتاز به الجيش الإيطالي .
- وقوف العالم الإسلامي عامة والعربي خاصة بكل قوة وصلابة كرجل واحد في وجه العدوان الإيطالي ".[4]

---

[1]- محمد مرزوقي والجيلاني يحي ، **معركة الزلاج**، د.ط، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1974 ، ص15.

[2]- نفسه ، ص 13،14.

[3]- أحمد توفيق المدني : هو صحفي ومؤرخ ، ولد بتونس في 1 نوفمبر 1898 من أب جزائري وأم جزائرية، هاجرتا إلى تونس إثر فشل مقاومة 1871 ، زاول دراسته الإبتدائية والثانوية ثم الجامعية بالزيتونة بتونس .(انظر: أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح (مذكرات) الجزء الأول في تونس (1905-1925)**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1976، ص7).

[4]- نفسه، ص 36-37.

تلك هي أهم الإشارات المتعلقة بردود فعل التونسيين تجاه الإحتلال الإيطالي لليبيا سنة 1911. [1]

وعلى ضوء ماسبق نستشف الدور الذي لعبته حركة تونس الفتاة ،الذي يمثل الإتجاه العربي الاسلامي وبشكل سجله لهم التاريخ،[2] كما نستنتج من خلال ما سبق المظهر الرائع في وحدة الشعبين بوحدة الجهاد والكفاح المشترك ضد الإستعمار الإيطالي الذي اتخذ من أرض طرابلس هدفا لحملته الصليبية الإستعمارية.[3]

كما كان لتشدد فرنسا في منع الإعانات عن طرابلس المجاهدة أثر كبير في نفوس التونسيين التي جعلتهم يدركون تآمرها مع الإيطاليين على طرابلس، فتحول ذلك إلى غضب عارم الذي كان له وقعه الشديد وساهم في تفجير أحداث الزلاج وذلك في 07 نوفمبر 1911.[4]

المطلب الثاني : أحداث الزلاج

إن التوتر الذي أحدثته حرب طرابلس فتح المجال أمام التونسيين للتعبير عن غضبهم وعدم رضاهم عن سلطة الحماية وعن المظالم التي ارتكبت في حقهم ، كما ساهمت في انتفاض الشعب التونسي يوم 07 نوفمبر 1911 .[5] تعود أصول حادثة مقبرة الزلاج [6] إلى عامي 1884 و1885 عندما أعطى الأمر المؤرخ في(30 جويلية 1884) وقرار 1 أفريل

---

[1]– تليلي العجيلي ، مرجع سابق ، ص 207.

[2]– يحي جلال وآخرون ، مرجع سابق ، ص 1073.

[3]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 45.

[4]– محمد مرزوقي والجيلاني يحي ، مرجع سابق ، ص 14.

[5]– نفسه ، ص 15.

[6]– مقبرة الزلاج : سميت بالزلاج نسبة إلى صاحب الأرض "محمد الزلاج القيرواني " ، الذي قام بشراء الأرض "هنشير " التي كانت ملك أحد اليهود وأقفه غلامه بإسم سيده على أموات المسلمين .(انظر : محمد مرزوقي والجيلاني يحي، مرجع سابق ، ص 18).

1885 الحق لبلدية تونس في الاشراف وتنظيم مقبرة الزلاج، الذي يعني من الناحية القانونية ادخالها ضمن ممتلكات البلدية بالرغم من أنها أرض حبوس .[1]

واعتمادا على ذلك قررت بلدية العاصمة تسجيل مقبرة الزلاج باسمهم في السجلات العقارية بدعوى حمايتها من الانتهاكات.[2] واتخذت من اقتطاع بعض المواطنين للحجارة من جيل التوبة كذريعة لتقديم الطلب لدى المحكمة العقارية في 26 سبتمبر 1911 لتسجيلها.[3]

اعتبر التونسيون قضية تسجيل المقبرة يعني وضع يد المسيحيين على أرض الحبوس الاسلامية ، وقد علموا بهذا عن طريق نشر البلدية للقرار بجريدة "الرائد التونسي" في أكتوبر 1911، فكان لذلك الخبر أثر بليغ على الأهالي المسلمين.[4]

أثارت هذه الوضعية ضجة كبيرة وسط الجماهير التونسية، كما شهدت معارضة من طرف رئيس البلدية صادق غيلي للتسجيل[5]، الذي قام بحملة اشهارية واسعة النطاق وزعت فيها المطبوعات على كافة الأحياء والشوارع ، [6]والتي كان لها مفعول كبير في نفوس الأهالي، حيث توالت الاحتجاجات وعرائض الاستنكار الموقعة من ألاف المواطنين.[7]

لذلك أثارت السلطات الاستعمارية مجموعة من التبريرات، أن البلدية كانت تريد من وراء التسجيل الحصول على مساحة كافية لمد خط السكة الحديدية التي تربط تونس و"غار الدماء " في الحدود الجزائرية، المشروع الذي عرض قبل (1911) وأجل.[8]

---

[1] −Habib Boularés ،**histoire de la tunisie**، céris éditions، tunis 2011 p 525 .

[2]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 46.

[3]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص35.

[4]– محمد مرزوقي والجيلاني يحي ، مرجع سابق ، ص18.

[5]– من المعروف عن رؤساء البلدية في ذلك الوقت ليسوا إلا آلات تقتصر مهمتهم على إمضاء مايقدم إليهم من مهمات، إذ أن النفوذ الحقيقي في البلدية وتصريف شؤونها كان بيد كاهية البلدية ، المفوض الفرنسي يعتمد على أغلبية من الأعضاء الفرنسيين في المجلس الذي توجد فيه أقلية من التونسيين المعينين من طرف الفرنسيين . (انظر: محمد مرزوقي والجيلاني يحي، مرجع سابق، ص 18)

[6]– شايب قدادرة ، مرجع سابق ، ص 91.

[7]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 46.

[8]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 46.

وهناك رأي آخر يقول أن القصد من وراء هذه العملية هو اقامة خط الترامواي عن طريق المقبرة، وفرضية اخرى تقول أن البلدية أرادت الاستفادة من الصخور لأنها كانت تنوي وضع تفجيرات لهذا الغرض.[1]

أما السبب الحقيقي فتكاد تجمع مختلف الآراء أنه يتعلق بمد خط السكة الحديدية لاغير.[2]

وتحت وطأة اشتداد المعارضة الشعبية واشتدادها، وموجة الاحتجاجات والاعتراضات التي كانت المساجد والجوامع خاصة جامع الزيتونة منطلقا لها،[3]عقد عضو المجلس البلدي عبد الجليل الزاوش بمذكرة خلال الاجتماع المنعقد يوم 2 نوفمبر 1911، يطلب من المجلس البلدي التراجع عن عملية التسجيل.[4]

إلا أن الأهالي اجتمعوا في التاريخ المحدد يوم 07 نوفمبر 1911 للحيلولة دون وقوع عملية التسجيل.[5] فوجدوا باب المقبرة مغلقا يحرسه رجال الشرطة الذين رفضوا السماح لأهالي بدخول المقبرة ،وازداد الوضع تأزما حينما شعروا بخيانة رئيس البلدية، فثار غضبهم وعبروا عن سخطهم من خلال مهاجمة رجال الشرطة مرددين ألفاظ السب والشتم، ورشقهم بالحجارة والرصاص ، مما أسفر عن سقوط عشرات من القتلى ومئات الجرحى .[6] وتطورت المعركة حتى شملت الأجانب وخاصة الايطاليين منهم الذين استغلوا فرصة هذه الظروف ليشفوا غليلهم وحقدهم عليهم وقد كان سبب هذا الحقد هو تأييد التونسيين لاخوانهم الطرابلسيين في مقاومتهم للغزو الايطالي.[7]

---

[1]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 77.

[2]– أمين شاكر وآخرون ، **شمال إفريقيا في الماضي والحاضر والمستقبل** ، ط5 ، دار المعارف بمصر ، 1954 ، ص122.

[3]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 46.

[4]– نور الدين الدقي ، مرجع سابق ، ص 198.

[5]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 46.

[6]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 47.

[7]– محمد مرزوقي والجيلاني يحي ، مرجع سابق ، ص 24.

هكذا تحولت المعركة من تسجيل مقبرة إلى صراع دامي بين الأهالي والايطاليين، حيث تدافعت الجماهير تطارد وتهتف بشعارات "الجهاد في سبيل تحرير الوطنية" و"الويل للمعتدين".[1] ويذكر شارل أندري جوليان أن عدد القتلى في صفوف الأجانب ثمانية من الفرنسيين والايطاليين بالإضافة إلى المئات من الجرحى. [2]

أما فيما يخص البقية التي حافظت على حياتها جسدته الأحكام القاسية الصادرة في هذه القضية والمتمثلة في مثول إثنين وسبعين تونسي (72) أمام المحكمة الجنائية الفرنسية بتهم مختلفة كالقتل والسرقة والاخلال بالأمن. [3] وقد كان من نتائج هذه الانتفاضة اصدار أوامر بتعطيل جميع الصحف العربية ، من بينها "جريدة التونسي"، بالإضافة إلى أوامر وقرارات أخرى تضيق على التونسيين من أهمها :

- إعلان حالة الحصار .
- منع الاجتماعات وحظر التجوال ابتداءا من 9 ليلا .

وتعتبر حادثة مقبرة الزلاج حسب وجهة نظر أحمد توفيق المدني مكيدة استعمارية أراد الاستعمار الفرنسي من ورائها القضاء على الحركة الوطنية التونسية التي أخذت تظهر للوجود وتترسخ في الأعماق .. ويضيف قائلا : هي التي حضرت الهوة بين التونسيين والفرنسيين وهي التي جعلت القلوب تضطرم نارا. [4]

ما يمكن إستخلاصه من حادثة الزلاج هو أنها قد بينت أن روح المقاومة ولدت في الجماهير بعد أن كانت لا تشعر بها إلا نخبة المثقفين وحدها ، وأن الجماهير الشعبية هي وحدها قادرة على التصدي للقمع والعنف الإستعماري بقوة دون خوف أوتردد.[5]

---

[1]- الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 46.

[2]- شارل أندري جوليان ، مرجع سابق ، ص 90.

[3]- محمد مرزوقي والجيلاني يحي ، مرجع سابق ، ص 38.

[4]- أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 42-46.

[5]- الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 49.

كما أظهرت أحداث الزلاج مدى تمسك الشعب بدينه وعروشه وإستعداده للدفاع عن حقوقه حتى الموت ، كما أظهرت وحدة الشعب العربي في كل من ليبيا وتونس ضد العدوان الايطالي وقسوة الاستعمار الفرنسي.[1]

في ظل هذه الظروف وفي خظم هذه الأحداث وبناءا على غدر فرنسا وقسوة ايطاليا، تبنى علي باش كامل المسؤولية في مقاطعة الترامواي، بعدما تبرأ سابقا من انتفاضة الزلاج التي تعد فاتحة جديدة من الكفاح الوطني ، ونتائجها ستتجسد على أرض الواقع في مقاطعة الترامواي.[2]

المطلب الثالث: أحداث مقاطعة الترامواي

تمثل حادثة مقاطعة الترامواي سنة 1912 امتداد لحرب طرابلس وحوادث مقبرة الزلاج سنة 1911 ، التي حدثت بعدها ب3 أشهر وتحديدا بتاريخ 9 فيفري 1912 ، [3] وقد كانت بسبب حقد الشعب على شركة الترام الكهربائي [4]، بسبب سلوكها العنصري البغيض، الذي اتسم به عمالها الأجانب، حيث أن الشركة لم تكن تستخدم إلا الأجانب، وحتى القلة من التونسيين الذين كانت تستخدمهم كانوا يلاقون سوء المعاملة من رؤسائهم، بالإضافة إلى انخفاض أجورهم مقارنة مع الأجانب، زيادة على هذا فقد كانوا يعانون من انعدام فرص الترقية.[5]

بما أن أغلب العاملين في الشركة إيطاليين، عمدوا على اثارة مشاعر التونسيين والسخرية منهم، [6]خاصة إبان حرب طرابلس التي أذكت لهيب التحدي، الذي بلغ ذروته عندما داس سائق ايطالي لعربة ترامواي أحد الأطفال التونسيين ذو 08 سنوات في المكان

---

[1]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق، ص 49.

[2]– خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 80.

[3]– عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، مصدر سابق، ص 13.

[4]– شركة الترام الكهربائية : أسستها الشركة الفرنسية بون قالمة bon guelma سنة 1898 م بعد أن اشترت الخطوط من الشركة البلجيكية . (انظر: حبيب حسن اللولب ، مرجع سابق، ص 173).

[5]– الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 49.

[6]– نفسه ، ص 49.

الواقع بين باب سعدون وباب سويقة وأرده قتيلا، فبينما الناس مازالوا تحت تأثير حوادث الزلاج، والأحداث الواردة من طرابلس، رأوا في هذا الحادث مظهرا جديدا من مظاهر حقد الأوروبيين على المسلمين ، لذلك قرروا مقاطعة الترامواي مقاطعة تامة.[1]

فلا غرابة أن يتسبب هذا الحادث في اندلاع أزمة بين الأهالي والشركة التي استغلها الوطنيون ضد الشركة، فتجمهر عدد كبير من التونسيين ومنعوا عربة الترامواي كانت قادمة من المرور، فدخلوا في مشادات كلامية مع أعوان الشركة المتواجدين بعين المكان، وراح والد الضحية يجوب الشوراع يدعوا التونسيين لمقاطعة شركة الترامواي التي تقتل الشيوخ والنساء والأطفال للانتقام منهم ، وعلقت بالجدران ملصقات تدعوا لذلك أيضا.[2]

ومن هنا بدأت مقاطعة تلقائية من طرف التونسيين لشركة الترامواي الكهربائي يوم 09 فيفري 1912، الذي دام 3 أشهر، وبموجب هذا الاجراء أصبحت الشركة مهددة بالافلاس والانهيار، لذلك استنجدت بالسلطة الفرنسية التي تدخلت من أجل البحث في الأزمة القائمة.[3]

وقد أعطت هذه المقاطعة للعمال التونسيون العاملون في الشركة فرصة لهم للضغط على هذه الأخيرة، وذلك لتحسن من ظروف عملهم، والمطالبة بالمساواة في الأجور بينهم وبين العمال الأوروبيين. [4]

وأمام استفحال الأزمة وتوتر العلاقات قررت السلطات الفرنسية استدعاء بعض الأعيان التي رأت فيهم العقل المدبر لهذه المقاطعة، فعقد بذلك اجتماع ناقش الحاضرون فيه تصرف سائقي عربات الترامواي، وتناولوا أوضاع العمال التونسيون في هذه الشركة، وسياسة التمييز واللامساواة المنتهجة ضدهم عند الانتداب أو تحديد الأجر، وعليه صرح علي باش حانبة أن المقاطعة كانت عفوية وبإمكانه وضح حد لها إذ تمت تلبية مطالبه، [5] المتمثلة فيما يلي:

---

[1] –Boularés, ibid, p534.

[2]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 51.

[3]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 81.

[4]– تليلي العجيلي ، مرجع سابق ، ص 214 .

[5]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 80.

1- طرد العمال الإيطاليين وتعويضهم بتونسيين وفرنسيين .

2- مساواة بين كل العمال دون تمييز .

3- تخفيض السرعة في الأحياء العربية .

4- استعمال اللغة العربية إلى جانب الفرنسية في كتابه العناوين في المحطات والارشادات.

5-التزام عمال الشركة باحترام الركاب من التونسيين .

6- طرد كل من يتسبب في قتل أي إنسان من سائقي الشركة .[1]

ونظرا لرفض الشركة مطالب التونسيين قررت سلطات الحماية عقد اجتماعات توصلت من خلالها لمزيد من التنازلات من طرف إدارة شركة الترامواي لصالح العمال التونسيين، لكن أنصار المقاطعة رفضوها لأنها جزئية لم تحقق لهم جميع مطالبهم، وبذلك تطورت مطالبهم الاقتصادية والاجتماعية إلى مطالب سياسية. فأقاموا مظاهرات احتجاجية بشوارع تونس في 08 مارس 1912 ، طالبوا على إثرها باطلاق سراح المسجونين في حوادث مقبرة الزلاج ،[2] وقد أثار هذا غضب سلطة الحماية التي اعتبرت هذه الحادثة موجهة ضدها، فصبت جام غضبها على حركة تونس الفتاة وحملتها مسؤولية المقاطعة، كما أقامت نظاما استثنائيا تمثل في تعميم الحكم العسكري على كامل البلاد، وأمرت بتعطيل الصحف الوطنية.[3]

ضف إلى ذلك تم إصدار قرار بإبعاد أعضاء حركة تونس الفتاة ، حيث تم اعتقال كل من علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي ، ومحمد نعمان ونفتهم إلى مرسيليا،[4] وأماحسن

---

[1]- الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 49.

[2]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 80.

[3]- محمد مرزوقي والجيلاني يحي ، مرجع سابق ، ص 178.

[4]- عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، مصدر سابق ، ص 13.

قلاتي أبعد إلى الجزائر وتم نفي إلى الجنوب التونسي كل من الشاذلي الدرغوث[1] والصادق الزمرلي.[2]

المطلب الرابع : نشاط الحركة الوطنية غداة الحرب العالمية الأولى

بعد أن قامت سلطات الحماية بقمع حركة تونس الفتاة ، على اثر حوادث الزلاج (نوفمبر 1911) ومقاطعة الترامواي (فيفري 1912) أغلقت باب الحوار السياسي مع التونسيين[3]، إلا أن مجريات الوضع الدولي بداية من سنة 1914 أثرت في المراحل اللاحقة من النضال الوطني ضد الاستعمار من الحرب العالمية الأولى التي ساهمت في نشر الوعي الوطني.[4]

فقد عملت الدعاية الألمانية التركية على الحدود التونسية الليبية على تحريض المجندين التونسيين على الفرار، ويشير عبد المجيد كريم في كتابه (موجز الحركة الوطنية) أن عدد الفارين في صفوف المجندين بين سنتي 1913 – 1915 بلغ حوالي 400 حالة.[5]

وأرسلت أيضا دعاة إلى شيوخ القبائل في الجنوب التونسي لاشعال فتيل الانتفاضة (انتفاضة وردانة)، ودخلت بعض القبائل التونسية بايعاز من الطريقة السنوسية وبقيادة خليفة بن عسكر في حركة مسلحة ضد المراكز العسكرية الفرنسية بجنوب البلاد ، [6] وقد

---

[1]– الشاذلي درغوث : ولد سنة 1862 بتونس، من أسرة ميسورة الحال من أصل تركي ظهر على الساحة العامة سنة 1910 بمناسبة إضراب طلبة جامع الزيتونة حيث ساهم في تحريضهم على التمسك بمطالبهم، كما كانت له مشاركة فعالة في أحداث مقاطعة الترامواي سنة 1912، لذلك اعتقلته سلط الحماية وأبعدته عن العاصمة .(انظر: نور الدين الدقي، مرجع سابق، ص250).

[2]– التليلي العجيلي ، مرجع سابق ، ص 215.

[3]– خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 83.

[4]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 54.

[5]– عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 55.

[6]– علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، مرجع سابق ، ص 159، 160.

أدى هذا إلى بروز ظاهرة " الصعاليك الشرفاء " منهم البشير بن سديرة، سعد بن عون ، ومحمد الدغباجي، وبلقاسم ساسي ، وقد شكلت تحركاتهم مواجهة عسكرية ضد الاحتلال.[1]

كما تواصلت الحركة الوطنية التونسية بالخارج بدافع من عناصر حركة تونس الفتاة في المنفى أمثال الأخوين: محمد وعلي باش حانبة والشيوخ صالح الشريف واسماعيل الصفايحي ومحمد الخضر حسين[2]، هؤلاء الوطنيين التونسيين الذين كان نشاطهم يندرج في نطاق الجامعة الاسلامية.[3]

نظرا للدعم الذي لقيه هوؤلاء الوطنيين من قبل السلطات الألمانية والتركية استقر علي باش حانبة زعيم حركة تونس الفتاة باسطنبول ، وقام بتكوين" لجنة تحرير المغرب العربي"[4]، كما بادر شقيقه محمد باش حانبة باصادر مجلة ناطقة باللغة الفرنسية بعنوان " la revue du maghreb" مجلة المغرب في شهر ماي 1916 مقرها بجنيف سويسرا.[5] عملت هذه المجلة على التنديد بكل شوائب النظام الاستعماري وطالبت ب :

- تعليم إبتدائي إجباري وتنظيم التعليم الثانوي والعالي.
- مساواة الجميع أمام القانون والعدالة بالمساواة الجبائية بالنسبة لأعباء والمكاسب وكذلك المساواة السياسية .
- اصلاح القونين والأنظمة الغابية والتخفيف من قسوتها .

---

[1]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 83 .

[2]- محمد الخضر حسين بن علي بن عمر الحسيني : هو علم بارز من أعلام الدين واللغة ،من مواليد سنة 1873م في مدينة النفطة جنوب تونس، تلقى علومه الأولى بمسقط رأسه، ثم التحق بجامع الزيتونة، حاز منها الشهادة العالمية في العلوم الدينية والعربية، ودرس بها سنة 1906، وأصبح من كبار علمائها وأساتذتها، ولما قامت فرنسا باحتلال تونس هب الشيخ الخضر للجهاد بالقلم والفكر ليبعث الروح والأمل فأصدر مجلة السعادة العظمى التي أنشأها لنشر محاسن الاسلام وفضح أساليب الاستعمار والدعوة إلى اليقظة والتحرر توفي سنة 1958. (انظر :عقيلة حايد، **العلامة محمد الخضر حسين من خلال مجلة "مجلة حضارة الإسلام"**،ع2،دورية دراسات تاريخية ، جامعة زيان عاشور ، الجلفة،د.ت.ن،ص 109- 110).

[3]- علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، ص 153 ، 154.

[4]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 56.

[5]- خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 83.

والملاحظ أن مجلة المغرب سارت على نفس الخط الذي سارت عليه جريدة التونسي، وهو المطالبة بإقرار دستور للبلاد، وبإعلان مبادئ ولسن 14 تغير خطها وتصلب موقفها، حيث تخلت عن المناداة بالدستور وأخذت تطالب بتطبيق المبادئ الولسونية (حق الشعوب في تقرير مصيرها) لفائدة شعوب شمال إفريقيا[1]، بالإضافة إلى هذا قام محمد باش حانبة بتأليف عدة نشريات باللغة الفرنسية ، منها "الشعب الجزائري والتونسي وفرنسا " 1917،" والحماية الفرنسية بتونس" 1918 بجنيف، إلى جانب هذا قام بتنسيق أنشطة الوطنيين المغاربة المقيمين بأوروبا مع بعض قادة العرب في المهجر أمثال الأمير شكيب أرسلان [2] والشيخ عبد العزيز جاويش ،الشيخ الخضر حسين كما كانت له اتصالات مع بعض الطلبة التونسيين بفرنسا من بينهم سالم الشاذلي أول رئيس لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا ، ومحمود الماطري من مؤسسي الحزب الحر الدستوري الجديد.[3]

وبالموازاة مع هذا النشاط تكونت "لجنة لاستقلال الجزائر والبلاد التونسية" ببرلين سنة 1916، برئاسة صالح الشريف[4]، وأصدر العديد من المؤلفات مثل "حقيقة الجهاد" ونشرية بعنوان "مطالب الشعب الجزائري والتونسي" أصدرت بمناسبة الندوة الاشتراكية (بسويسرا) نددت بنظام الاستعباد الذي يخضع له السكان الجزائريون والتونسيون.[5]

وعلينا الإشارة إلى أن السلطات الاستعمارية اعتمدت على شتى الوسائل لمحاصرة وقمع هذا النشاط الوطني في المهجر من دعاية ومصادرة أملاك بعض الزعماء الوطنيون،

---

[1]- علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، مرجع سابق ، ص 154.

[2]- شكيب ارسلان 1869-1946: هو شكيب بن حمودة بن حسن بن يونس أرسلان ، عالم بالأدب والسياسة مؤرخ ، ولد في الشويفات(لبنان)، اهتم بالقضايا العربية ، فما ترك ناحية منها الا تناول منها تفصيلا واجمالا ، أصدر مجلة بالغة الفرنسية (nation arabe) في جنيف(انظر: خير الدين الزركلي ، **الأعلام**،ج3،ط15،دار العلم الملايين، بيروت، 2002م ، ص173).

[3]- علال الفاسي ، مصدر سابق ، ص 52 ، 53.

[4]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 56.

[5]- علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، مرجع سابق، ص 160.

لكن رغم ذلك تمكن هؤولاء الوطنيون من التعريف بمطالب التونسيين، ويظهر ذلك من خلال مشاركة محمد باش حانبة في المؤتمر الثالث للقوميات جوان 1916 بمدينة لوزان.

كما وجهت "الهيئة الجزائرية التونسية" مذكرة إلى مؤتمر السلم بفرساي في جانفي 1919 للمطالبة بالاستقلال[1]، ومع انهزام امبرطوريات الوسط تخلى الشيخ صالح الشريف وأصحابه عن فكرة الاستقلال التقليدي، وانتقل محمد باش حانبة للمطالبة بالاستقلال العصري في عصبة الأمم.[2]

إن التحركات الجماهيرية التي حدثت بالبلاد التونسية بين 1907 و 1912 سواء كانت عنيفة أو سلمية قمعت بعنف وقسوة لكنها أجبرت سلط الحماية على تقديم تنازلات عديدة بل التراجع في العديد من مشاريعها ومخططاتها، وبذلك كانت هذه التجارب ناجحة وناجعة فرسخت في الذاكرة الشعبية وأثرت في المراحل اللاحقة من النضال الوطني ضد الاستعمار انطلاقا من الحرب العالمية الأولى.[3]

[1]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق ، ص 57.

[2]- علي المحجوبي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، مرجع سابق ، ص 161

[3]- عبد المجيد كريم وآخرون ، مرجع سابق، ص 54.

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع حركة تونس الفتاة وموقفها من الحماية الفرنسية خلال الفترة الممتدة مابين (1907-1912) خلصنا إلى نتائج نجملها فيمايلي :

1- لقد ساهمت الظروف الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها تونس في جعلها فريسة سهلة وقعت في قبضة الإستعمار الفرنسي ، الذي قام على مؤامرات دولية تجسدت في مؤتمر برلين 1878، الذي سمح لفرنسا بالإنفراد بتونس ضمن مايصطلح عليه بالمسابقة الديبلوماسية قابله خيانة الباي وتواطئه معهم ، وقد توجهت الحكومة الفرنسية بإحتلالها تونس بإبرامها معاهدة باردوا 1881م ، والمرسى 1883م ، التي سلبت البلاد إستقلالها وإستطاعت بذلك أن تسير في سياستها الإستعمارية وفق خطة منظمة صريحة أساسها أن يبقى الحكم في أيدي الفرنسيين .

2- لقد كان رد فعل الشعب التونسي من نظام الحماية في مرحلته الأولى بظهور مقاومة شعبية مسلحة أعلن سكانها رفضهم للتواجد وعدم الخضوع للسياسة الفرنسية والتي نجحت في عرقلة تقدم الإستعمار ولم لفترة مؤقتة ، لكنها لم تستطع إنهاء الوجود الفرنسي بعد أن إستنفذت جميع وسائل كفاحها المادية والمعنوية مما مهد الطريق لظهور مقاومة سياسية على يد جماعة من المناضلين السياسيين .

3- كانت الإرهاصات الأولى للمقاومة السياسية بظهور أول حركة إصلاحية بالبلاد التونسية على يد مجموعة من رواد الإصلاح منهم أحمد الورتتاني ومحمد السنوسي التي غذتها عوامل داخلية تمثلت في السياسة الإستعمارية الفرنسية وعوامل خارجية تمثلت في تأثير التيار الإصلاحي المشرقي الذي قاده جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، ناهيك عن تأثرهم بحركة العروة الوثقى التي تأسست 1883 على يد محمد السنوسي الذي عمل على نشر مبادئها الرامية لتحرير العالم الإسلامي ، وظهور النضال الثقافي والفكري بتأسيس الصحف منها جريدة الحاضرة صدرت في 03 أوت 1888،وجماعة الزهرة الساخطين على تعديات وتجاوزات الحماية 1890 ، ثم أعقبتها تأسيسالجمعيات ،الجمعية الخلدونية عام 1896 للنهوض بالتعليم وجمعية قدماء الصادقية 1905 لإستكمال حركة الإصلاح والتحديث وكان

لهذه الوسائل دور كبير في تكوين رأي عام بتونس ،بالإضافة لظهور حركة مطلبية مثلها خطاب البشير صفر عام 1906 ومشاركة محمد الأصرم في مؤتمر مرسيليا الذي طرح أهم المشاكل الموجودة بالمستعمرة الفرنسية بتونس التي ساهمت في نمو الوعي الوطني والقومي لدى الشباب التونسي.

4- عرفت تونس عهد النهضة والوعي والتنظيم من خلال المعارك الضارية على الصعيد الثقافي والفكري والعمل التوعوي ، وبدأ الشباب التونسي يتجه إلى العمل السياسي التنظيمي، وأخذت الفكرة تتبلور في أذهان المثقفين التونسيين الذين سعوا إلى بناء حركة وطنية فعليا بعد تشكيل خيرة من الشباب المناضلين من بينهم علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي لأول حركة سياسية منظمة ضد الإحتلال ألا وهي حركة تونس الفتاة بتاريخ 1907 ، جمعت بين العناصر الزيتونية والنخبة المتعلمة بالمدارس الفرنسية ، وبدأت تروج لأفكارها عن طريق إصدارها لجريدة التونسي التي تضمن عددها إفتتاحية برنامج الحركة ، ومن هنا بدأت الحركة الوطنية تأخذ منعرجا آخر فبينما كان عملها ممزوجا بالإصلاحات الدينية والإجتماعية والفكرية ودخلت ميدان السياسة من بابها الواسع.

5- تمكنت حركة تونس الفتاة من فرض نفسها وسيطا وطرفا أساسيا لكل حوار مع حكومة الحماية ، وكثيرة هي الأنشطة التي قامت بها أو ساندتها دون أن تدعوا إليها حيث تمكن الشباب التونسي من إبلاغ صوتهم في مؤتمر شمال غفرقيا عام 1908 لدراسة شؤون شمال إفريقيا وهو يعد تتويجا لحركتهم ، كما ناهضت سعي اليهود للخروج عن القضاء التونسي واندت إضراب الزيتونة نة 1910 وهو موقف ينسجمع التوجهات المؤلوفة للحركة ويدل على وعي قادة الحركة وأصبح لديهم الحس الوطني لمجابهة المستعمر بكل حزم ، كما كان لها دور كبير في الحملة المنددة بالغزو الإيطالي على طرابلس بل وأنها ساهمت في إندلاع التحركات الجماهيرية بصفة غير مباشرة مثلما حدث في واقعة الزلاج (7 نوفمبر 1912) أو بصفة مباشرة عندما أطرت هذه الحركة مقاطعة الترامواي (فيفري مارس 1912) كأسلوب من أساليب الصراع العسكري ، لكنها تعرضت إلى هزات إستعمارية عنيفة أدت إلى قمع

الحركة ونفي البارزين من أعضائها الذين واصلوا نشاطهم السياسي بالخارج ، وبهذا لم يذهب عمل هذه النخبة جزافا فقد إلتف حولها الشعب التونسي، ودفعت بفرنسا أن تعيد النظر في سياستها الإستعمارية .

الملاحق

الملحق رقم (01): معاهدة باردو[1]

معاهدة باردو أو «قصر السعيد»

«إنّ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس – لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار – قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين. وبناء على ذلك فإنّ فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عيّن العماد بريار نائبا مفوضا من طرفه فاتفق جنابه مع سموّ الباي المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : إنّ معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتّم على دولة الجمهورية الفرنسية اتّخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتلّ القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفّق السلطتان الحربيّتان الفرنسية والتونسية–، وتقرّران معا بأن الإدارة المحليّة قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كلّ خطر يمكن أن يهدّد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع : تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهمّ الجانبين.

البند السادس : يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسيّة ومصالحها. وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دوليّة من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدّما.

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحقّ الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسيّة من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن : تفرض غرامة حربيّة على القبائل العاصية بالحدود والسّواحل وتحدّد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفّاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي تتعهّد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربيّة الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر : يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن.

وكتب بالقصر السعيد في 12 ماي 1881

الإمضاء : محمد الصادق باي- العماد «بربيار»

[1] خليفة الشاطر واخرون، مرجع سابق، ص 21.

الملحق رقم (02): اتفاقية المرسى[1]

نص اتفاقية المرسى

المنعقدة فى ٨ يونيو سنة ١٨٨٣

لما كانت عناية سمو الباى المعظم متجهة إلى تحسين الأحوال الداخلية بالمملكة التونسية وفقا لاحكام المعاهدة المبرمة فى الثانى عشر من شهر مايو سنة ألف وثمانمائة وواحد وثمانين وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة فى تحقيق أغراض سموه توثيقا لعرى المودة بين الدولتين اتفق الطرفان على عقد اتفاق لتحقيق هذا الغرض واعتمد رئيس الجمهورية الفرنسية فى ذلك مسيو بايار بولس كامبون وزيره المقيم بتونس الحامل لنيشان اللجيون دونور صنف أوفيسيه ونيشان الافتخار العهد من الصنف الأكبر ... الخ فقدم وزيره المشار إليه أوراق اعتماده لعقد الاتفاقية المحدودة فى البنود الآتية :

البند الأول : ـ لما كان غرض سمو الباى المعظم أن يسهل للحكومة الفرنسية إتمام حمايتها تكفل بادخال الاصلاحات الإدارية والعدلية التى ترى الحكومة المشار إليها فائدة فى ادخالها .

البند الثانى : ـ تضمن الحكومة الفرنسية قرضا يعقده سمو الباى لتحويله أو لدفع الدين الموحد البالغ مائة وخمسة وعشرين مليونا فرنك والدين السايرالذى لا يمكن أن يتجاوز سبعة عشر مليونا وخمسمائة وخمسين ألفا ـ ولكنها هى التى تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك

[1] يونس درمونة، **تونس بين الحماية والاحتلال**، د.ط، دار اليقضة العربية، دار الكتابات بالدار البيضاء، دمشق، مراكش، د.ت.ن، ص 145

وقد تعهد سمو الباى المعظم بأن لايعقد قرضاً فى المستقبل لحساب المملكة التونسية دون إذن سابق من الحكومة الفرنسيه .

البند الثالث : ـ يخصص لسمو الباى المعظم من مداخيل المملكة .

(أولا) المبالغ اللازمة لقيام بواجبات القرض الذى ضمنته فرنسا

(ثانيا) مخصصات سمو الباى وقدرها مليونان من الريالات التونسية أى مليون ومائتى ألف فرنك وما بقى من ذلك يعين لمصاريف المملكة ودفع مصاريف الحماية .

البند الرابع : ـ هذه الاتفاقية مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١ فى ما يحتاج منها إلى التأكيد والتكميل ولا تتغير بها إلا الأنظمة التى سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربية .

البند الخامس : ـ تعرض هذه الاتفاقية على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسليم وثيقة التصديق إلى سمو الباى المعظم فى أقرب فرصة ممكنة وإيذانا بصحة ماتقدم حررت هـــذه الاتفاقية وختمها الموقعان بخاتميهما .

وكتب بالمرسى فى ٨ يونيو سنة ١٨٨٣

الأمضاء

على بحاى — بولس كامبول

[1] يونس درمونة، مرجع سابق، ص 146

الملحق رقم (03): خطاب البشير صفر[1]

مقتطفات من خطاب البشير صفر في حفل تدشين "دار النكبة"
يوم 24 مارس 906

« يا جناب الوزير،

إنّ المسلمين بهذه الدّيار يقدّرون ما قامت به دولة الحماية من الإصلاحات النافعة حق قدرها، ويسرّهم أيضا ما يرون من المساعي الدولية في توسيع دائرة الأعمال الخيرية، غير أنّ ممنونيّتهم تكون أعمّ وأشمل لو أضافت الدولة إلى عنايتها الحالية بإغاثة المصاب اعتناء جديدا بالنظر في الوسائل التي تحفظ التونسي من الوقوع في هوّة الفقر والخراب. فإذا فتحت للأهالي أبواب التعليم الصناعي والتجاري والزراعي، وإذا أحيطت اليد العاملة الإسلامية بسوار من العناية الدولية، وإذا رفعت الصنائع المحليّة بالوسائل الجمركية وغيرها، وإذا بقيت الأملاك الأهلية بأيدي أربابها، فإذا تمّ جميع ذلك، فالظاهر يا جناب الوزير أن وطأة الفقر المُلمّ الآن باهيئات التونسية تخفّ عن عاتقها كثيرا إن لم نقل تزول بالكليّة. وأملنا وطيد في أن دولة الحماية لا تلبث أن تتوّج باتخاذ تلك التدابير هيكل الترقيّات التي أحسنت بدايتها في هذه الدّيار، وبذلك تنال ممنونيّة التونسيين خصوصا ومودّة واستحسان المسلمين عموما (...)»

عن جريدة «الحاضرة»، بتاريخ 30 مارس 1906

[1] خليفة الشاطر واخرون، مرجع سابق، ص 67.

الملحق رقم (04): جريدة التونسي[1]

إن جريدة «التونسي» هي أول جريدة فرانساوّية أنشأها التونسيون في الإيالة (...) وسيكون «التونسي» لسان حالهم حتى يحين اليوم الذي تمنحهم فيه الحماية رفع أصواتهم بالدفاع عن حقوقهم أمام مجلس نيابي.
فهذه الجريدة التي ندبرها ونحررها ستتكفل لقرائها بالتعريف بأفكارنا وبحسن نوايانا نحو الوطن وساكنيه ولذلك كتبت على نفسها (...) أن تقاوم بأصدق لهجة كل مظلمة واعتداء يحيطان بمواطنينا بدون أن تسعى في إخفاء معايبهم. وستبذل أقصى ما يمكن من الجهد في درس المشاريع التي تهم الأهالي بأدّق طريقة وكذا كلما يعود بالنفع على جميع الأهلين لهذه الديار.
(...) وسنضع في مقدمة مطالبنا مسألة التعليم العام التي يتوقّف عليها حياة أو موت التونسيين إذ يؤلمنا كثيرا أن نرى تسعة أعشار مواطنينا لا يزالون تائهين في فدافد الجهل بعد مضي نحو ربع قرن على الاحتلال الفرنسي وإن إصلاح التعليم بكيفية تلائم حالة الشعب قد أصبح محتّما. وعلى فرنسا الديمقراطية أن تراعي شعائرها وأمالها الحرة في جعل التعليم الابتدائي مجانا وجبريا في جميع أنحاء المملكة .
كما أننا سنشتغل بعرض مسألة تسهيل أسباب مزاولة العلوم الثانوية على الحكومة الحامية ومطالبتها بتنشيط نخبة التلامذة الذين ظهر اجتهادهم وتأكد تحصيلهم على مزاولة العلوم العالية لتتم لنا بهذه الطريقة تربية رجال أكفاء يمكنهم أن يدركوا الحظ الأوفر في إدارة شؤون بلادهم. على أن ذلك لا يتأتى لهم إلا متى فتحت في وجههم أبواب الإدارات وسمح لهم بالحق في الاستخدام ولذلك يتحتم علينا أن نطلب بأشد لهجة نسخ القرارات الصادرة بشأن حرمان الأهالي من الدخول في الامتحانات التي تهيئهم للمناصب الدوليّة والتي لم تبق لهم سوى بعض الخطط الصغيرة مثل الترجمة والحجابة إذ لا مسوغ لهذا الحرمان الذي أصيب به مواطنونا.
أما ما يتعلق بالحالة الاقتصادية فإننا سنحث الحكومة على الاهتمام بنشر التعليم الصناعي والزراعي بين طبقات العملة الأهليين لأن بلادا مثل بلادنا فتحت من جديد للحركة الاقتصادية يجب أن تكون لأهاليها الرتبة الأولى في إيجاد المصنوعات وغيرها.
ويتأكد البدء في تهيئة اليد العاملة لمباشرة الاشتغال بالمصنوعات العصرية وغيرها عامة كانت أو خاصة.
وإذا وفقت الحكومة إلى ذلك فإنه ينسنى لها انتشال بعض الصنائع اليدوية من الاندثار وذلك بنشر تعليم خاص لمتعاطيها وتنشيطهم بنشاطات رسمية.
وليس ذلك ليثنينا عن التفكير في أحوال الفلاحين من أهل البادية وهم أفقر الطبقات وأشدّها عوزا واحتياجا للمساعدات وأجدر بالرحمة والإسعاف. وسنشرع في ذلك بطلب حذف المجبى وتنظيم وسائل الإسعافات العامة بإحداث مستشفيات وتعيين أطباء معاونين من شبّان الأهالي وتأسيس صناديق احتياطية مع عدم إغفال نشر التعليم بينهم وتعميم العدل فيهم والتماس التساهل في معاملة الإدارات لهم.
ونلتمس من الحكومة أن تسمح لصغار الفلاحين الوطنيين ابتياع الأراضي الدولية على نسبة تعيّنها الإدارة التي لها النظر في ذلك وأن تنشأ لهم مراكز فلاحيّة بازاء المراكز الاستعمارية التي للأوروبيين.
أما مسألة العدلية التونسية فإن أهميتها في نظرنا لا تقل عن المطالب التي مرّ بنا ذكرها لأن العدل يعتبر في كل هيئة اجتماعية من أهم وأعز الأمور فيلزم للقيام بذلك أن تؤسس هيئة عادلة متوفرة الشروط.
لأن العدلية التونسية رغما عن الإصلاحات الجمة التي أجريت فيها ولا يجد مكابر إلى إنكارها سبيلا فإنها لم تزل على حالة غير مرضية ما دام المتقاضون لا يجدون أمامها الكفالات اللازمة للحصول على الحقوق.
ولذلك أخذنا على أنفسنا القيام بطلب إصلاحها وتنظيمها بكيفية مدققة تلائم روح مدنية العصر وجعل قوانين لها مدّونة يرجع إليها الناس في معرفة الحدود والحقوق والواجبات مع التفرقة بين السلطتين الإدارية والحكمية (...)

مقتطفات من افتتاحية العدد الأول من جريدة : « Le Tunisien» (التونسي)، 7 فيفري 1907، بقلم علي باش حانبه (نشرته بالعربية جريدة "التونسي" في 8 نوفمبر 1909).

[1] خليفة الشاطر واخرون، مرجع سابق، ص 71.

الملحق رقم (05): عبد العزيز الثعالبي[1]

الأستاذ الشيخ عبد العزيز الثعالبي مؤسس الحزب الحر الدستوري والزعيم الأكبر في الحركة الوطنية .

[1] طاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 134.

الملحق رقم (06): علي باش حانبة[1]

علي باش حانبة (1876 - 1918)

[1] نور الدين الدقي، مرجع سابق، ص 98.

الملحق رقم (07): احداث الزلاج[1]

أحداث الزلاّج

القوّات العسكريّة ترابط بالمدخل الجنوبي للعاصمة (باب عليوة 7 نوفمبر 1911)

أحداث الزلاّج

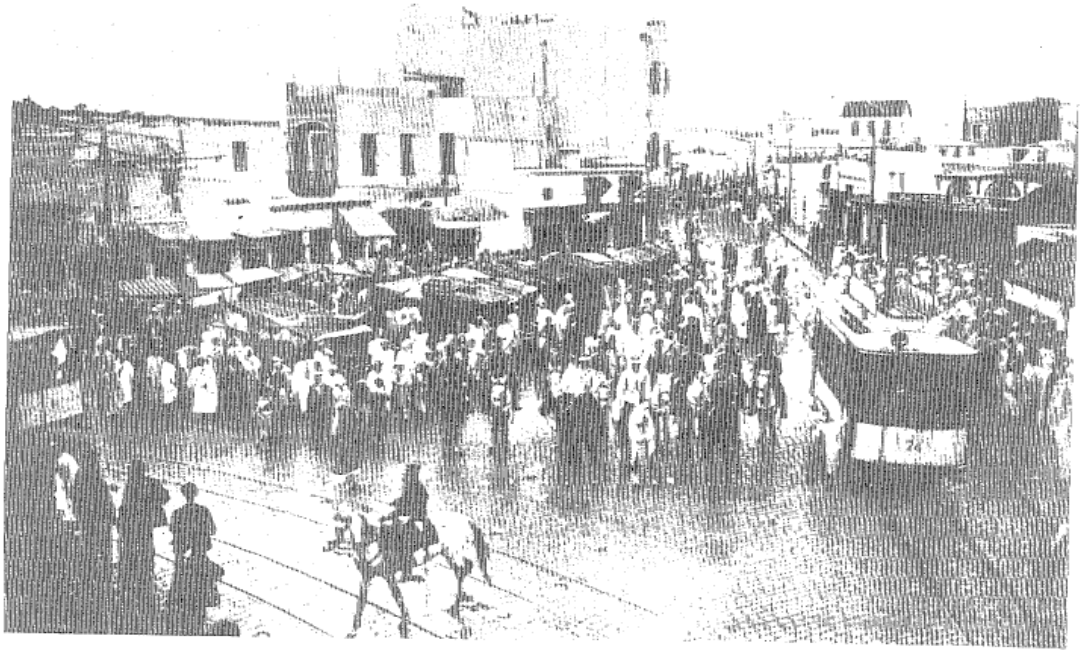

القوات الفرنسيّة تحاصر ساحة باب سويقة (7 نوفمبر 1911)

[1] نور الدين الدقي، مرجع سابق، ص 98.

قائمة المصادر والمراجع

1- مصادر :

1. بيرم ، محمد الخامس ،**صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار** ،ج2،د.ط، دار صادر ، القاهرة ، 1890.
2. بن أبي الضياف ، أحمد ، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ، م4،ج7،د.ط، دار العربية للكتاب ،1999.
3. بن عاشور، محمد الطاهر ، **أليس الصبح بقريب** ، ط1، دار السلام للطباعة والنشر ، تونس ، 2006.
4. الفاسي،علال ، **الحركات الإستقلالية في المغرب العربي** ، ط1 ، مطبعة الدراسة القاهرة ، 1948.
5. المدني ،أحمد توفيق ، **حياة كفاح (مذكرات)** ،ج1،د.ط، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2010.
6. ثامر ، الحبيب ، **هذه تونس** ، تق: الرشيد الرشيد إدريس ، تح : حمادي الساحلي ،ط1، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1988.
7. الثعالبي ،عبد العزيز ، **تونس الشهيدة** ، تر وتق : سامي الجندي ،ط1،دار القدس ، لبنان ،1975.

2- المراجع :

. باللغة العربية :

أ. كتب :

1. أبوزكريا، يحي ، **الحركة الإسلامية من الثعالبي إلى الغنوشي** ،منشور إلكتروني في موقع www.naschin.net في جوان 2003.
2. الأفغاني ،جمال الدين ، وعبده محمد ، **العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى** ،تحقيق صلاح الدين البستاني ،ط1، دار الغرب ،القاهرة ، 1993م .

3. بن بليغت ،الشيباني ،**الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882)** ،تق : عبد الجليل التميمي ،د.ط ، مؤسسى التميمي للبحث والمعلومات ،صفاقس ، 1995م .

4. بن خوجة ، محمد ، **صفحات من تاريخ تونس** ، تقديم : حمادي الساحلي ، الجيلالي بن يحي ،ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986م.

5. الجمل شوقي، عطا الله ، **المغرب الكبير في العصر الحديث (ليبيا ،تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى)** ، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 م.

6. جوليان شارل أندري ، **المعمرون وحركة الشباب التونسي** ،تر : محمد مزالي والبشير بن سلامة ،د.ط،الشركة الأنجلو المصرية ،القاهرة ، 1977م.

7. جوهر حسين محمد ، **تونس** ، د.ط، دار المعارف ، مصر ،1961م .

8. داهش ، محمد علي ، **دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر** ،د.ط،، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمان ، 2011م.

9. درمونة ، يونس ، **تونس بين الحماية والاحتلال**،دط، دار اليقظة العربية ، دار الكتابات بالدار البيضاء ، دمشق ، مراكش ، د.ت.ن .

10. الدقي ، نور الدين ، **حركة الشباب التونسي** ،د.ط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس ،1999م.

11. الزركلي ، خير الدين ، **الأعلام**، ج3،ط15، دار العلم الملايين ، بيروت،2002م.

12. الزيدي ، المنجي ، **الحرية (التجمع الدستوري الديموقراطي التحولات التاريخية ورهانات التغير)**، ط1 ، ناشر جريدة الحرية ، تونس ، 2008م .

13. الزمرلي ،الصادق ، **أعلام تونسيون** ، تق: حمادي الساحلي ،ط1، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ،1986 م .

14.زيادة ، نقولا، **تونس في عهد الحماية** ، د.ط ، الأهلية للنشر والتوزيع ، 2002.

15. الطالبي ، محمد ، **دائرة المعارف التونسية في تاريخ إفريقيا** ،تر : محمد العربي رزاق والأستاذ رياض مرزوقي ،د.ط، دائرة المعارف ، تونس ، 1994 .

16. يحي ، جلال وآخرون، **المغرب الكبير في الفترة المعاصرة وحركة التحرير والإستقلال** ،د.ط،الدار القومية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1966 .

17. يحي ، جلال ، **مدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث** ، د.ط ، دائرة المعارف ، مصر ، 1965 م.

18. كريم ، عبد المجيد وآخرون ، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (مقاربة 1864-1881)** ،د.ط،المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،جامعة منوبة،تونس ، 2008 م.

19. لوتسكي ، فلادمير ، **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ، ط8، دار فرابي ،بيروت، لبنان ، 1985 م .

20. المحجوبي ، علي، **إنتصاب الحماية الفرنسية في تونس** ، تعريب : عمر بن ضو وآخرون ،د.ط،دار سراس للنشر ، تونس ، 1986 م .

21. المحجوبي ، علي ، **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين** ، م2،د.ط، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1986 م.

22. المحجوبي ، علي ، **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**، تع: عبد الحميد الشابي، د.ط، بيت الحكمة تونس، 1999م.

23. محافظة ،علي ، **الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914) الاتجاهات الدينية والسياسية والإجتماعية والعلمية** ، د.ط ،الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987م.

24. محفوظ ، محمد ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2،د.ط، دار الغرب الاسلامي، 1982م.

25. مرزوقي، محمد والجيلاني ، يحي ، **معركة الزلاج** ،د.ط، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1974 م .

26. مناصرية، يوسف، **دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين**، د.ط، دار هومة للطباعة ،الجزائر ، 2014.

27. سليمان ، فواز عبد العزيز ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة ، د.ت.ن.

28. عبد الله ، الطاهر ، **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1881-1956**، ط2 ، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، 1975 م.

29. العجيلي ، التليلي ، **الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1936)** ، م3، د.ط، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، تونس ، 1918 م .

30. العروي ، عبد الله ، **مجمل تاريخ المغرب** ، ط2 ، المركز الثقافي والعربي ،الدار البيضاء ، 2009م .

31. العقاد، صلاح ، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر ، تونس، المغرب الأقصى)** ، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1993 م .

32. القصاب ، أحمد ، **تاريخ تونس المعاصر(1881-1956)** ، تعريب : حمادي الساحلي ، ط1، الشركة الوطنية التونسية للتوزيع ، تونس ، 1956م.

33. الشاطر ، خليفة وآخرون ، **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال**، ج3، د.ط، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية ، تونس ، 2005.

34. شاكر ، أمين وآخرون ، **شمال إفريقيا في الماضي والحاضر والمستقبل** ، ط5، دار المعارف بمصر ، 1954 م .

35. الشريف ، محمد الهادي ، **تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الإستقلال**، تع: محمد الشاوش ، ط3، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 م.

36. الثعالبي ، عبد العزيز، **من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب** ،دار الغرب الإسلامي، تق وتع: صالح الخرفي ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1995م.

37. الغالي ، بلقاسم ، **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره** ، ط1، دار إبن حزم ، لبنان ، 1996.

باللغة الفرنسية :

-Boularés ، Habib، **histoires de la tunisie**، cérés éditions، tunis 2011.

ب.الدوريات :

1. أحمد أبو الحسن ، جمال محمود ، **الإمام الطاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)** ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، م5 ، العدد 2، 2009 م .

2. حباسي، الشاوش ، **محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية (1914،1920)** ،مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7، معهد التاريخ ، 1993م.

3. حايد ، عقيلة، **العلامة محمد الخضر حسين من خلال مجلة حضارة الاسلام،دورية دراسات تاريخية**،ع2، جامعة زيان عاشور ، الجلفة، د.ت.ن.

4. سريب ، نور الدين ، **ممارسات ثقافية وجمعنة سياسية (المثال التونسي)** ،مجلة إنسانيات ، منشور إلكتروني ،سنة 2012م.

5. عصفور ، محمد سلمان ، **الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 والموقف العثماني والأوروبي منها** ، مجلة ديالى ، ع56، العراق ، 2012 م .

ث. رسائل جامعية :

1. بوصري أسماء ، حفصاوي ضاوية ، **المقاومة الشعبية المسلحة بتونس ونتائجها (1881-1907)** ،مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الحديث والمعاصر (غير منشورة)،إشراف: أحمد بن يغزر ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة خميس مليانة ، 2015-2016.

2. اللولب، حبيب حسن ، **دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني 1860-1964** ،رسالة ماجستير (غير منشورة)،إشراف : جمال قنان ، جامعة الجزائر ، 2000-2001.

3. الشايب ، قدادرة ، **الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري 1934 -1954** ، دراسة مقارنة ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (غير منشورة)، إشراف : عبد الرحيم سكفالي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2006-2007.

ج. الموسوعات والقواميس :

1. بوذينة ، محمد ، **أحداث العالم في القرن العشرين (1900-1909)** ،ج1،د.ط، منشورات محمد بوذينة ،د.ت.

2. الجندي ، أنور ، **الموسوعة الإسلامية العربية العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي** ، ج4، ط1، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، لبنان ، د.ت.ن.

3. الكيالي ، عبد الوهاب وآخرون ، **الموسوعة السياسية** ، ج1، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت. .

4. الكيالي ، عبد الوهاب وآخرون ، **الموسوعة السياسية** ، ج2 ،د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت .

ملخص :

تطرقنا في دراستنا لموضوع حركة تونس الفتاة وموقفها من الحماية الفرنسية خلال الفترة الممتدة (1907-1912) إلى الظروف العوامل الداخلية والخارجية التي أوقعت البلاد التونسية في مدار الهيمنة الإستعمارية ،حيث شكلت معاهدة باردوا 12 ماي 1881 بداية الاستغلال الاستعماري الفرنسي وقد أدت هذه السياسة إلى نمو الوعي الوطني لدى الشعب التونسي وخوضه لتجارب عدة ضد الاستعمار الفرنسي ، فمن المقاومة المسلحة إنتقل التونسيون إلى النضال الثقافي والفكري بتأسيس الجمعيات الثقافية (الخلدونية والصادقية) وتكوين الصحف ومن خلال هذا العمل بدأ الوعي الوطني ينتشر والعمل السياسي يرتكز وتجلى تشكيل جماعة النخبة لحركة تونس الفتاة بتاريخ 1907 التي لعبت دورا بارزا وقويا في الحقبة الممتدة مابين (1907-1912) وساهمت بشكل فعال في دفع وتيرة النضال إلى الأمام وبدأت في محاولة تنظيم الجماهير داخل الحركة وخرجت بذلك من الإيطار الذي أراده الفرنسيون أن تكون عليه، لكنها تعرضت للقمع والايقاف بنفي زعماءها الذين واصلوا العمل السياسي بالخارج .